روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرّي جدًا!!

الزمن الآخر

128

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - عالم آخر ..

انبعث ذلك الضوء البنفسجى الهادئ ، يغمر المهبط الأسطوانى الشفّاف ، الذى يحمل المقدّم (نور الدين محمود) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ، حيث مكتب القائد الأعلى ، وداخل المهبط تردّد صوت آلىّ ، يقول :

- المقدّم (نور الدين) .. من القسم الخاص .. لديك موعد عاجل مع القائد الأعلى ، بعد ثلاث دقائق وسبع ثوان .. قف ثابتًا ، وتطلّع إلى الدائرة البرتقالية أمامك ، حتى يتمّ التحقّق من شخصيتك .

شدّ (نور) قامته ، فى وقفة عسكرية ثابتة ، وتطلّع إلى تلك الدائرة البرتقالية ، التى انبعث منها خيط أزرق رفيع ، من أشعة الليزر الدقيقة ، راح يمسح وجهه فى سرعة ، قبل أن يتوقّف لحظة على قزحيته ، عاد بعدها الصوت الآلى يقول :

- تم التحقّق من الشخصية .. إيجابى .. القائد

الأعلى سيستقبلك خلال دقيقتين وثلاث ثوان بالضبط.

توقف المهبط فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى تلك اللحظة بالضبط ، فغادره (نور) ، وعبر الممر الطويل أمامه ، حتى توقف أمام حجرة القائد الأعلى..

وفى هذه المرة أيضًا ، خضع لفحص أمنى سريع ، قبل أن ينفتح باب حجرة القائد الأعلى ، ويبدو هذا الأخير داخلها ، بصحبة الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث العلمية ، الذى أشار إلى (نور) ، قائلاً :

ـ ادخل أيها المقدم .. لدينا الكثير لنتحدث فيه اليوم .

دلف (نور) إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يسأله :

ـ هل قضيت وقتًا كافيًا مع شبيهك المعكوس يا (نور) ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إلى حد ما يا سيدى .

مال القائد الأعلى بجسده إلى الأمام ، متسائلاً :

ـ وما رأيك فى قصته ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، وهو يجيب فى اقتضاب :

ـ مفزعة !

نطقها ، وعقله يقفز إلى كل ما سمعه من شبيهه ، الراقد فى المستشفى ..

إلى القصة كلها ..

قصة غزو عالم بأكمله ..

ومنذ البداية ..

والبداية كانت فى عالم آخر ..

عالم شبيه بكوكبنا الأرض ..

فى طبيعته ..

وسكانه ..

وتاريخه ..

وحاضره ..

وكم تمنى ألا يتشابه معه فى مستقبله ..

ففى ذلك العالم ، حيث يوجد (نور) آخر ، وفريق كامل للمخابرات العلمية ، بدأت سلسلة رهيبة من الأحداث ، تمهد لغزو فضائى مخيف ..

مقاتلات فضائية مجهولة ، اقتحمت ذلك العالم ، عبر ما يعرف باسم (طريق النجوم) ، وراحت تشيع الدمار والهلاك بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وهبّ (نور) ذلك العالم وفريقه ، للتصدّى للغزو الجديد ..

وانطلقوا يواجهون الغزاة ..

عبر طريق النجوم ..

وهناك ، كانت أمامهم ألف مفاجأة ، على مسافة هائلة من الأرض ..

لقد شاهدوا أضخم سفينة فضائية، فى الكون كله..

سفينة الغزاة ..

كانت هائلة ، عملاقة ، وكأنها كوكب بأكمله ، يسبح فى الفضاء السرمدى ، محاطًا بما يقرب من مليون مقاتلة ..

قوة رهيبة ، تكفى للسيطرة على الكون كله ، وليس أرضهم وحدها ..

وداخل تلك السفينة ، التقى (نور) العالم الآخر وفريقه بإمبراطور الغزاة ..

شخص آلى عملاق ، يجلس على عرش هائل ، ويطالبهم بالسجود أمامه ..

ولأنهم جميعًا ، مثلنا، لا يسجدون إلا لله (عزّ وجل) ، كان من المحتم أن يقع الصدام .. وبمنتهى العنف ..

وهنا سقطت الضحية الأولى ، فى صفوف الفريق..

(رمزى) المسكين ، مزّقه بعوض آلى ، فى قلب سفينة الغزاة ، أمام أعين زوجته ورفاقه ..

وكانت الصدمة الأولى ..

أما الصدمة الثانية ، والأكثر عنفًا ، فكانت مع عودتهم إلى عالمهم ..

عالمهم الذى اغتال الغزاة الفضائيون فيه رئيس جمهوريتهم ، وسيطروا على كل شىء فيه تقريبًا ..

عالمهم ، الذى راحت فيه (مشيرة) ضحية للغزاة ، عندما بدأت المذبحة ..

حتى الشيوخ والنساء والأطفال ، قتلهم الغزاة بلا شفقة أو رحمة ..

وهكذا سقط عالمهم تحت احتلال جديد ، أكثر قسوة وشراسة من الاحتلال السابق(*).

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٩

احتلال يقوده جيش من الآليين ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة .

وهذا ما استنتجه (نور) العالم الآخر ..

أو ما أدركه أخيرًا ..

ولأنه لا توجد وسيلة واحدة لهزيمة ذلك الغزو الآلي الرهيب ، قفزت إلى ذهن (نور) فكرة مجنونة للغاية ..

فكرة العودة بآلة زمن إلى تاريخ سابق للغزو ..

ومحاولة منع البداية ..

وفي سبيل تحقيق خطته ، اقتحم (نور) ورفاقه مركز الأبحاث العلمي ، سعيًا وراء آلة زمن ، تم إخفاؤها هناك بدقة ..

ومع الاقتحام ، لقى (أكرم) مصرعه ..

وضحت (نشوى) بعمرها ، لتضمن الانتقال الزمني ..

وبقى (نور) و (سلوى) العالم الآخر ..

والأمل ..

الأمل الأخير فى تغيير التاريخ ، وإنقاذ عالم كامل من الفناء ، على يد وحوش فضائية آلية ، لا تعرف شفقة أو رحمة ..

وانطلقت آلة الزمن ..

ولكن شيئًا ما فى برنامجها أصابه الخلل ..

لذا ، فهى لم تقفز عبر الزمن فحسب ..

وإنما عبر أبعاد الكون أيضًا ..

وهكذا هبطت آلة الزمن فى الزمن المطلوب ..

ولكن فى عالم آخر ..

عالمنا ..

ولأن كل شىء فى عالمنا هو عكس الموجود فى عالمهم ، فقد انعكست الأقطاب ..

وساد الخلل ..

وهوت آلة الزمن ..

وبعنف ..

ومع الارتطام القوى ، أصيبت (سلوى) بشدة ..

ولقيت مصرعها ..

وهكذا بقى (نور) العالم الآخر وحده ..

بقى فى عالم آخر ..

معكوس ..

بالنسبة إليه ..

عالم فقد فيه آخر أمل لإنقاذ كوكبه ..

وحمل إليه لمحة من المستقبل ..

مستقبل مظلم مخيف ..

مستقبل يحمل رائحة واحدة ..

رائحة الموت(*) ..

* * *

استوعب عقل (نور) الأمر كله ، واستعاد كل ما سمعه من شبيهه المعكوس ، فى لحظة واحدة ، والقائد الأعلى يسأله فى قلق واضح :

ـ وماذا عن المستقبل يا (نور) ؟! مستقبلنا نحن ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، وأجاب :

ـ من الواضح أن التاريخ عندنا وعندهم يسير على نحو متوازٍ .

قال الدكتور (جلال) فى حزم :

ـ تقصد متشابه .

هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (طريق النجوم) .. المغامرة رقم ١٢٧

ـ بل متوازٍ فالأحداث واحدة ، والمنحنى الزمنى واحد ، ولكن شبيهى استخدم آلة زمن ، للعودة إلى الماضى ، وكل ما حدث هو أن خلل آلة الزمن قد أتى به إلى عالمنا ، وليس إلى عالمه .

زفر القائد الأعلى فى توتر ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تتوقع لمستقبلنا نفس ما حدث فى عالمه .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالطبع ، فهذا ما يحدث فى العالمين منذ الأزل ، إذ إن النظريات العلمية تؤكد أن أى اختلاف فى نقطة من نقاط الزمن ، يؤدى حتمًا إلى اختلال التوازى فى كل ما بعد هذه النقطة ، حتى إن كل عالم سيختلف عندئذ عن العالم الآخر تمامًا ، وما دام هذا لم يحدث بعد ، فهو يعنى أن كل شىء فى العالمين يتطابق تمامًا .

قال الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .. ولدى دليل حاسم على هذا ..

سأله القائد الأعلى :

ـ وما هو ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حسم :

- أبحاث (طريق النجوم) ، التى يتحدث عنها ذلك الشبيه المعكوس ، تتم لدينا بالفعل ، وتحت غطاء من السرية المطلقة ، حتى إن المقدّم (نور) نفسه يجهل كل شيء عنها .

تمتم (نور) :

- هذا صحيح .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستطردًا :

- ولكن من الواضح أن عالمينا سينفصلان ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- وكيف تجزم بهذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- شبيهى نجح فى الوصول إلينا ، ونقل إلينا لمحة من المستقبل ، مع ملف كامل ، يحوى صورًا ، وأرقامًا ، ومعلومات ، وتسجيلات ، تمنحنا نقطة تفوّق على الغزاة هذه المرة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل تعتقد أن بإمكاننا التغلب على غزاة كهؤلاء؟!

غمغم (نور) :

- علينا أن نحاول على الأقل .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، وألقى نظرة على القائد الأعلى ، قبل أن يغمغم فى توتر بلغ ذروته :

- بناء على كل المعلومات ، التى أتى بها شبيهك ، والتى بذل رجالنا جهدًا مضنيًا لاسترجاعها ، من أسطوانة مدمجة ، تنتمى إلى عالم معكوس ، يلوح لى ، ولمجموعة كاملة من الخبراء ، أنه فى ظل الإمكانيات الخرافية لأولئك الغزاة ، لست أظن أنه لدينا أمل أيها المقدّم ..

وعضّ شفتيه ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- أدنى أمل .

ولم يعلّق أحد بحرف واحد ..

لقد كان حديثه صحيحًا ، حتى إن السكون قد خيّم على الحجرة كلها لوقت طويل ..

طويل جدًا ..

* * *

« ربما يبدو هذا صحيحًا ، من الناحية الحسابية والمنطقية ، ولكننى أصرّ على التمسّك ، ولو بخيط من الأمل .. »

نطق (نور) قوله هذا فى حزم شديد ، وهو يواجه أفراد فريقه فى مقرّهم ، فتبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم غمغمت (سلوى) :

ـ أى أمل ، فى ظل هذه الظروف ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ الأمل الذى دفع شبيهى هذا إلى المجازفة بكل شىء ممكن ، فى سبيل العودة إلى الماضى ، وإنقاذ عالمه ..

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكن هذا الأمل ضاع هباءً يا (نور) .. لقد ألقت به آلة الزمن إلى عالمنا نحن ، وليس إلى عالمه ، وهذا يعنى أن مصير عالمه أكثر سوادًا من ليلة بلا قمر .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تتمتم :

ـ والمسكين سيلقى مصرعه ، إن عاجلاً أو آجلاً ، طبقًا لتقارير الأطباء ، التى تؤكد أن تركيبه الخلوى لن يسمح له بالعيش طويلاً ، فى عالم معكوس بالنسبة له .

هزّ (نور) رأسه فى أسى ، مغمغمًا :

ـ مسكين .. ربما كان هذا أيضًا هو سبب الإرهاق الشديد ، الذى شعر به ، منذ بدأ رحلته .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

ـ ولكنه على الأقل ، نجح فى الوصول إلينا .

سأله (رمزى) ، فى شىء من الحذر :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدا صوته أشد حزمًا وقوة ، وهو يقول :

ـ ربما لا ندرى بعد ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، ولكننى أؤمن بالقدر، وأؤمن أيضًا بأن الخالق (عزّ وجل) يدير الكون ، بكل عوالمه ، بميزان دقيق ، لا يحدث أى شىء فيه عبثًا ، وما دام شبيهى المسكين قد قفز من زمنه وعالمه ، إلى زمننا وعالمنا ، فقد حدث هذا لحكمة ، لا يعلمها إلا الخالق (سبحانه وتعالى) ، ومن يدرى ؟! ربما جاء هذا لإنقاذ عالمنا نحن !

تمتم (أكرم) :

ـ نعم .. من يدرى ؟!

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن تسأل (نشوى) :

- ولكن ما الذى يمكن أن نفعله ؟!

أجاب فى سرعة وحسم :

- أمران : أولهما أن نقوم بدراسة كل ما حمله إلينا شبيهى ، من وثائق ومعلومات ، وبالذات كل تفاصيل رحلته وفريقه ، عبر طريق النجوم .. وكل ما يتعلق بالغزاة ، الذين لم يلمحهم أحد أبدًا .

غمغم (أكرم) :

- قصته تقول : إنهم آليون عمالقة .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- هذا مجرد استنباط ، لا يعتمد على أدلة مادية ، أو قرائن ملموسة .. فكرة ، بناها شبيهى ، اعتمادًا على مشهد واحد ، داخل سفينة الغزاة .

تساءلت (نشوى) :

- ألا يكفى هذا ؟!

هز رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- ليس بالضرورة .

ثم مال نحوهم ، مستطردًا :

- ثم إنه ليس هناك ما يدعونا إلى العجلة والتوتر ، أو استباق الأحداث ، والقفز إلى استنتاجات

أو استنباطات سريعة .. دعونا ندرس كل شىء أولاً ، ونفحصه ونمحصه ، ونخضعه لكل وسائل التحليل ، على النحو الذى لم يتح لشبيهى وفريقه ، وبعدها نضع استنتاجاتنا ، ونظرياتنا ، و ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- ونستعد لمواجهة الغزاة .

عبارته الأخيرة جعلت الوجوم يهبط عليهم بغتة ، وجعلتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن تتمتم (سلوى) :

- من يدرى ؟! ربما حالفنا الحظ ، وكان مصيرنا أفضل من مصير أشباهنا .

قال (رمزى) ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا :

- على الأقل ، لدينا ما يكفى من الوقت .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، وارتسم على شاشته رقم خاص ، جعل (نور) يقفز ليضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- إنه الدكتور (جلال) .

وبالفعل ، ظهرت صورة مدير مركز الأبحاث على شاشة هاتف الفيديو ، وهو يقول فى توتر بالغ :

- (نور) .. من حسن الحظ أن وجدتكم .

بدا عليهم القلق لأسلوبه ، وسأله (نور) :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

أجابه الرجل بنفس التوتر :

- خبراؤنا أجروا حساباتهم ، وراجعوها مرات ومرات ، ثم توصلوا إلى نتيجة مخيفة .

سأله (نور) فى قلق :

- وما هى ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- إنها تتعلق بموعد الغزو .

سألته (سلوى) بأنفاس مبهورة :

- هل توصلتم إليه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى شحوب ، فسأله (نور) فى سرعة :

- متى يا دكتور (جلال) ؟!

أشاح الرجل بوجهه ، وكأنما يتحاشى المواجهة ، وهو يجيب :

- بناء على كل ما حصلنا عليه ، ستبدأ تلك الأحداث ، التى أدت إلى ما أصاب العالم الآخر خلال ..

وصمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل :

- خلال أربعين ساعة فحسب .

وهوى الجواب على رءوسهم كالصاعقة ..

أو أشدّ هولاً .

* * *



٢ – أربعون ساعة ..

انسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، قبل أن يلتقي حاجباه ، ويلوّح بيده ، قائلاً بلهجة حملت قدرًا هائلاً من التوتر :

– أربعين ساعة ؟! رباه ! هل تقول : إن كل ما لدينا هو أربعون ساعة ، ثم يبدأ الغزو ..

أشار الدكتور (جلال) بسبّابته ، قائلاً :

– ليس الغزو ، وإنما الأحداث الأولى له .

قال القائد الأعلى في عصبية :

– أعلم أنك تميل إلى الدقة المفرطة في عملك وحديثك يا دكتور (جلال) ، بحكم طبيعتك العلمية ، ولكنني لست أدرى الفارق في الواقع .

أجابه الدكتور (جلال) :

– الفارق كبير . فبعد أربعين ساعة تقريبًا ، سيتبعث ذلك التضجيج ، الذى أنبأنا بأن بعضهم يسعى لاختراق قضائنا ، عبر طريق النجوم . أما الغزو نفسه ، فسيبدأ بعد ..

قاطعه القائد الأعلى في عصبية أكثر :

– أعلم .. أعلم .. لقد قرأت كل التفاصيل .

ثم نهض من خلف مكتبه ، متابعًا :

– وترتعد فرائصي ، كلما تصوّرت ما نحن مقبلون عليه .

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، مغمغمًا :

– كلنا هذا الرجل .

ولوّح بيده ، مستطردًا :

– ولكن خبراءنا يبذلون قصارى جهدهم ، لفهم واستيعاب كل ما حمله إلينا ذلك الشبيه المعكوس .

قال القائد الأعلى في حدة :

– إنهم يتحركون ببطء بالغ .

هز الدكتور (جلال) رأسه في قوة ، قائلاً :

– الأمر ليس سهلاً ، فكل ما جاء به ذلك الشبيه ، يعمل بصورة عكسية .. الآلات ، أجهزة الكمبيوتر ، الأسطوانات المدمجة ، وحتى ذرات المواد .. وخبراؤنا يبذلون جهدًا خرافيًا ، لابتكار وتنفيذ أساليب جديدة ، لدراسة وقراءة تلك المعكوسات ، قبل أن تتحلل ذراتها ، وتتلاشى من الوجود .

سأله القائد الأعلى بأنفاس مبهورة :

ـ أهذا ممكن ؟!

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً فى توتر :

ـ بالطبع .. لا شىء يمكن أن يتواجد إلى الأبد ، فى عالم تسير كل قوانينه ونظمه فى اتجاه يخالف ما اعتدنا عليه .. حتى ذلك الشبيه المسكين ، لن يمكنه أن يحيا هنا طويلاً .. إننا لا نمتلك أية وسيلة لإعادته إلى عالمه .. ولست أظنه حتى يسعى لهذا ، فالعودة إلى عالمه هى قمة العذاب بالنسبة إليه ؛ فقد فقد فريقه كله ، وعالمه يسيطر عليه غزاة وحشيون ، لا أمل فى أن يتركوا خلفهم أية صورة من صور الحياة .. بل ربما يعود ليجد نفسه وحيداً ، وسط خراب عام شامل ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

ـ إننا لا نستطيع إعادته على أية حال .

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل :

ـ ومن أدرانا ؟! ربما كان هذا مصيرنا أيضاً .

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع القائد الأعلى :

ـ أليس هذا ما يتوقّعه الخبراء ؟!

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب ، فى لهجة حملت الكثير من الحذر :

ـ إنهم يحاولون أن .....

قاطعه القائد الأعلى ، مكرراً فى عصبية صارمة :

ـ أليس هذا ما يتوقعونه ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، مجيباً فى استسلام :

ـ الواقع أنه لا توجد ، حتى الآن ، أية وسيلة منطقية ، لهزيمة جيش هائل من الآليين كهذا .

قال القائد الأعلى ، فى عصبية أكثر :

ـ حتى بعد أن عرفنا الكثير عن مقاتلات الغزاة ؟! وحتى ونحن نعلم أين ومتى ستأتى الضربة الأولى ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا لن يصنع فارقاً كبيراً للأسف ، فمن الواضح ، من تحليل ما جاء به الشبيه المعكوس ، أن أولئك الغزاة الآليين لديهم وسيلة ما ، لمراقبة ومتابعة كل ما نفعله فى عالمنا ، وهذا يعنى أنهم سيكشفون محاولاتنا واستعداداتنا لمواجهتهم ، وسيتخذون ما يلزم للتصدى له .



اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات . .

وزفر مرة أخرى ، مضيفًا فى عصبية :

ـ وعندئذ سيبدأ تاريخنا فى اتخاذ منحنى جديد .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ ربما كانت الاحتمالات أفضل ، فى هذه الحالة .

قال الدكتور (جلال) فى حزم متوتر :

ـ أو أسوأ .

لوّح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن يكون أسوأ من هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أن تبدأ المقاتلات العليون بمهاجمتنا دفعة واحدة ، حتى تسحق المركز الرئيسى للمقاومة ، من اللحظة الأولى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، وهو يدرس ذلك الاحتمال ، قبل أن يتساءل فى اهتمام :

ـ ولماذا لم يفعلوا هذا ، فى ذلك العالم الآخر ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ ربما لم تكن هناك ضرورة عندئذ .

اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى أسى :

- لا توجد أية احتمالات للنجاة إذن .

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

- ربما لو ..

استدار إليه القائد الأعلى فى لهفة ، متسائلاً :

- لو ماذا ؟!

تردد الدكتور (جلال) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى حسم :

- لو وجدنا وسيلة لإغلاق طريق النجوم .

بهت القائد الأعلى للجواب ، فتساءل مبهورًا :

- أهذا ممكن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه ، قائلاً :

- من الناحية النظرية ، الجواب هو نعم ، فكل ما يحتاج إليه الأمر هو إحاطة الأرض بحزام من الطاقة ، يمنع ذبذبة الاختراق من بلوغ نقطة الصفر ، وهذا سيجعل من المستحيل عبور طريق النجوم إلينا .. الوسيلة التقليدية ستبقى بالطبع ، ولكن السفر بالسرعات التقليدية ، أو حتى بسرعة الضوء ، عبر ثلاث أو أربع سنوات ضوئية ، يحتاج إلى طاقة لا محدودة ، وكم هائل من الوقود ، لست أظن أية

سفينة فضائية ، فى الكون كله ، يمكن أن تحمله ، حتى ولو كانت بحجم كوكب كامل كما يصفونها .. ثم إن الوقت والمسافة يكفيان لإلغاء الفكرة من العقول الآلية الغازية تمامًا .

هتف القائد الأعلى :

- ولماذا لم تقل هذا منذ البداية ؟!

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً فى أسف :

- لأن هذا يحتاج إلى شهر كامل على الأقل لإنجازه .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، هاتفًا :

- شهر كامل ؟! أهذا وقت السخرية يا رجل ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- قلت منذ البداية إن الحل نظرى فحسب .

صاح به القائد الأعلى فى عصبية :

- وليس لدينا ما يكفى من الوقت ، لنناقش الحلول النظرية والاحتمالات المستقبلية ، التى تتجاوز حدود الوقت المتاح .. أريد حلولاً عملية .. حلولاً تحسم الأمور ، فى أسرع وقت ممكن .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

- وربما لو حاولنا ، من الجانب الآخر .

صاح به في عصبية :

- أي جانب آخر ؟! طريق النجوم هذا أشبه بشبكة عنكبوت لا محدودة .. إنه أكثر توسعاً وانتشاراً من شبكات الانترنت نفسها ، ولا يمكنك أن تحكم ملايين المداخل والمخارج في آن واحد ، وخاصة عندما يكون بوسع خصمك أن يقفز من أية نقطة إلى أخرى، دون حساب مسبق !

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، وقال :

- ليس كما تتصوّر يا سيدي .. فعلى الرغم من أن طريق النجوم عبارة عن شبكة هائلة ، إلا أنه يشبه شبكة الانترنت ، في أنه هناك دائماً طريق واحد رئيسي ، يقود إلى عالمنا نحن ، يمكن بلوغه من أي مكان في الكون ، ولكنه وحده يعبر إلينا ، ولو أمكننا إغلاق هذا الطريق الرئيسي ، فستمتنع أي شيء ، وأي شخص ، مهما كانت ماهيته ، من الوصول إلينا.

سأله القائد الأعلى مبهوتاً :

- وكيف يمكن إغلاق ذلك الطريق الرئيسي ، من الجانب الآخر كما تقول ؟!

بدا التردد مرة أخرى ، على الدكتور (جلال) ، فهتف به القائد الأعلى في حدة :

- أفصح يا رجل .. ليس لدينا الزمن كله .

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، وقال :

- هذا يحتاج إلى فريق علمي ، في مهمة خاصة جداً .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف في حزم :

- مهمة انتحارية .

واتسعت عينا القائد الأعلى ..

لقد فهم ما يعنيه رئيس مركز الأبحاث ، ولم يستطع النطق بحرف ..

حرف واحد ..

* * *

« كيف حالك ؟! »

ألقى (نور) السؤال على شبيهه ، في لهجة تحمل الكثير من التعاطف ، على نحو جعل الآخر يبتسم في شحوب ، لا ينافسه سوى شحوب وجهه وهو يقول :

- لا يمكنني أن أدعي أنني في أفضل حال .

غمغم (نور) في أسىً :

- بالتأكيد .

كان الشبيه شاحبًا ممتقعًا إلى حد مخيف ، ولقد بدت عيناه زائغتين ، وهو يشير بيده ، متسائلاً فى مرارة :

- لم تجدوا وسيلة لإنقاذ عالمى .. أليس كذلك ؟!

ازدرد (نور) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- إننا لم نجد بعد وسيلة لإنقاذه .

هزّ الشبيه رأسه ، قائلاً :

- لم يعد هناك فارق .. إننى أعلم أنه من المستحيل أن تحتمل خلاياى العيش طويلاً ، فى عالم معكوس .. إننى أشعر بهذا جيدًا .. هذا الشحوب ، والإرهاق العنيف ، وآلام الصدر والكلى .. إننى أحتضر ببطء يا صديقى .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ليبتسم ، ثم لم يلبث أن لوّح بيده ، متابعًا فى ألم :

- حتى حركة يدى تؤلمنى بشدة .

قال (نور) بصوت خافت ، وكأنما يعتذر عن كل ما حدث :

- الأطباء سيستخدمون عقارًا جديدًا ، لتخفيف آلامك .

ابتسم الشبيه مرة أخرى فى شحوب ، متمتمًا :

- ومن أدراهم أنه لن يعمل على نحو معكوس ؟!

ثم زفر فى توتر بالغ ، قبل أن يتساءل :

- وماذا عن عالمك ؟!

أجابه (نور) :

- الغزو سيبدأ بعد ست وثلاثين ساعة .

هزّ الشبيه رأسه فى ألم ، متمتمًا :

- يا للخسارة !

وعضّ شفته الباهتة ، متابعًا :

- أتمنى أن يكون حظكم أفضل منا .

قال (نور) :

- سنبذل قصارى جهدنا .

وافقه الشبيه بإشارة من يده ، قبل أن يستلقى على فراشه ، ويسبل عينيه ، قائلاً فى ضعف :

- الضعف الذى يحيط بى ، يمنعنى من التفكير بذهن صاف ، ولكن هناك عدة نقاط ، أرجو أن توليها اهتمامك ، وأنت تراجع قصة عالمى كلها .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أشار الشبيه بسبابته فى تهالك ، قائلاً :

ـ إنها بضعة أسئلة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ..

غمغم (نور) :

ـ كلى آذان مصغية .

خيل إليه أن شبيهه يقاوم غيبوبة عنيفة ، تهاجم عقله فى شراسة ، وهو يقول :

ـ الضوء يا صديقى ..

سأله (نور) فى حيرة :

ـ أى ضوء ؟!

أجابه بضعف متزايد :

ـ لماذا كانوا يطفئون الأنوار ، كلما انتقلنا ، من قاعة إلى أخرى ؟! حتى فى أثناء هروبنا ، وعندما كان ذلك البعوض الآلى يهاجمنا ، انطفأت أضواء القاعة !! فلماذا ؟!

قفزت عدة نظريات إلى رأس (نور) ، ولكنه لم يحاول نقل إحداها إلى لسانه ، وهو يستمع إلى شبيهه ، الذى تابع :

ـ ولماذا لم نر الغزاة قط ؟! لماذا لم نر حتى بعض الحراس أو المعاونين ، حول ذلك الإمبراطور الآلى العملاق ؟!

ثم اعتدل فى صعوبة ، وفتح عينيه الزائغتين ، ليقول متوتراً :

ـ ولكن الأكثر أهمية سؤالان .. لماذا لم تتبعنا مقاتلات الغزاة ، عندما عبرنا طريق النجوم ، فراراً منها ؟! ولماذا كان الغزاة يهاجمون كل دولة على حدة ، على الرغم من امتلاكهم لقوة فضائية هائلة ، لا قبل للعالم أجمع بها ؟!

تراجع (نور) فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، فى حين رفع شبيهه يده فى إرهاق ، متمتماً :

ـ ابحث عن أجوبة لهذه الأسئلة يا صديقى ، وربما .. ربما ..

ارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يبذل جهداً شديداً ، لينطق كلماته ، و ..

ولكن ضعفه الشديد لم يمهله ..

لقد هوى فجأة فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..

للغاية ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو يستمع إلى (نور) في اهتمام ، قبل أن يلوح بيده في قوة ، هاتفًا :

- عظيم .. إذن فالتاريخ يعيد نفسه إذن .. شبيهك أرسلوه وفريقه في مهمة انتحارية ، كانت بداية نهايتهم ، وهنا يطلبون منا القيام بالمهمة ذاتها .. قل لي يا (نور) : ألا يتعلمون أبدًا .

أجابه (نور) في هدوء :

- الأمر يختلف تمامًا يا (أكرم) .. شبيهي المسكين وفريقه انطلقوا إلى مهمتهم الانتحارية ، لتحديد موقع الغزاة وطبيعتهم ، أما نحن فننطلق إليها ، ولدينا كل المعلومات اللازمة ، ومهمتنا أن نعمل على إغلاق طريق النجوم في وجوههم تمامًا ، وليس أن نجمع بعض المعلومات عنهم .

هتف (أكرم) في حدة :

- ولماذا يرسلوننا نحن ؟! لماذا لا يرسلون فرقة من فرق الصاعقة أو القوات الخاصة ؟!

أجابه (نور) في حزم :

- لأن هذا العمل يحتاج إلى محترفين في الاتجاهين .. يحتاج إلى فريق علمي انتحاري ، وهذا ينطبق أكثر ما ينطبق ، على فريقنا بالذات .

انعقد حاجباه ، وهو يقول في عصبية :

- هذا واضح .

نقل الباقون أبصارهم ، بينه وبين (نور) ، قبل أن تتساءل (سلوى) في توتر :

- ما الذي سنفعله بالضبط يا (نور) ؟!

أجابها (نور) في حزم :

- إغلاق طريق النجوم يحتاج إلى إطلاق ذبذبة خاصة قوية ، ثم اعتراضها بإيقاف صوتي حرج مباغت(*)، بتوقيت بالغ الدقة ، لا يصلح للقيام به

(*) الإيقاف الصوتي الحرج: الطبيعي ، من الناحية العلمية ، أن يتصاعد الصوت وينخفض تدريجيًا ، على نحو منتظم ، ولكن الإيقاف الصوتي الحرج يعني هبوط التردد إلى الصفر دفعة واحدة ، وهذا يؤدي إلى توقف ارتجاجي مباغت ، قد يتسبب في تحطيم الزجاج ، أو العبوات القابلة للكسر ، كما أنه يسبب إزعاجًا بالغًا ، لكل المخلوقات ، التي تمنحها القدرة على التقاط الذبذبات فوق الصوتية.

سوى خبيرة صوتيات مثلك يا (سلوى) ، بمعاونة خبيرة كمبيوتر محنكة مثل (نشوى) .

قالت (نشوى) فى لهفة عصبية :

ـ لا توجد ضرورة لذهاب (رمزى) و(أكرم) إذن .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :

ـ ماذا تقولين يا فتاة ؟! الفريق لن يذهب إلى أى مكان بدونى .. أنا جزء مهم منه ، شئت أو أبيت

قال (رمزى) فى حزم :

ـ هذا ينطبق علىّ أيضًا .

التفتت إليه (نشوى) ، هاتفة فى ارتياع :

ـ مستحيل ! لن أسمح لهم بأن يفعلوا بك ما فعلوه بشبيهك .

هتف مستنكرًا :

ـ تسمحين لهم ؟! أى قول هذا يا (نشوى) .. ألم يمكنك إدراك الأمر جيدًا ؟! منذ اللحظة التى هبط فيها شبيه (نور) المعكوس إلى عالمنا ، اختلت حالة التوازى ، وانفصل تاريخنا عن تاريخهم تمامًا ، وكذلك مصيرنا ومصيرهم ، وطبقًا للمنطق العلمى البحت ، فما حدث فى عالمهم ، لم يعد من الممكن

أبدًا أن يتكرر فى عالمنا .. بل إنه من المستحيل أن يحدث هذا الآن .

قالت (سلوى) ، بلهجة أرادت أن تضفى عليها شيئًا من الحماس :

ـ وربما كان مستقبلنا أفضل .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

ـ أو أسوأ .

أجاب (نور) فى حزم :

ـ أيًا كانت النتائج ، علينا أن نبذل قصارى جهدنا فحسب ، ولنترك النتائج للخالق (عز وجل) ، فهى ليست من شأننا .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وخفضت عينيها ، وهى تتمتم :

ـ بكل تأكيد .

تعلقت كلمتها ، فساد صمت ثقيل فى المكان ، وراح كل منهم ينقل بصره فى وجوه الآخرين ، وكأنما لديهم ما يخشون الإفصاح عنه ، إلى أن قال (أكرم) ، قاطعًا ذلك الصمت :

ـ ومتى ننطلق يا (نور) ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب في حزم :

- خلال ست ساعات على الأكثر .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا :

- وهذا يعني أنه ستكون أمامنا ثلاثون ساعة كاملة ، لـ ...

قبل أن يتم عبارته ، ورتج المكان كله بضجيج عجيب ..

ومخيف ..

ضجيج لم يكن من المفترض حدوثه ، قبل ست وثلاثين ساعة كاملة ..

وكان هذا يعني الكثير ..

الكثير جدًا ..

* * *

« إنها محاولة الاختراق الأولى .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وكيانه كله يرتجف، وتحركت سبابته فوق خريطة العالم ، مكملاً :

- نفس الأماكن ، بنفس التوزيع ، ونفس درجة الارتجاج ، التي سجلها شبيهك في عالمه ، ولكن قبل الموعد الذي أخبرنا به بست وثلاثين ساعة كاملة ..

ثم زفر في عنف ، مضيفًا :

- وليس هناك أدنى شك في تحليل الموقف .. إنها محاولة اختراق لقصفنا .. أتدرك ما يعنيه هذا أيها المقدم ؟!

أجابه (نور) في لهجة حاسمة :

- يعني أنه هناك جاسوس بيننا يا سيدي .

كان الجواب مباغتًا بحق ، حتى إن القائد الأعلى والدكتور (جلال) حدقا في وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف الأول :

- ماذا تقول يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، مجيبًا :

- أقول : إن التفسير الوحيد لما حدث ، هو أنه هناك جاسوس بيننا ، ينقل التطورات أولاً فأولاً إلى الغزاة ، بوسيلة ما ، وهذا ما دفعهم إلى تقديم موعد الاختراق ، لمنعنا من اتخاذ كل ما يمكن أن يعرض حملتهم للخطر .

كان تفسيرًا منطقيًا إلى حد مخيف ، حتى أن القائد الأعلى والدكتور (جلال) قد تبادلا نظرة مرتاعة، نهض بعدها الأول من خلف مكتبه ، وهو يقول في توتر :

- هذا أمر بالغ الخطورة ، ومنطقى أيضا للغاية .

قال الدكتور (جلال) فى انفعال :

- ودون أدنى شك ، فمن الناحية العلمية المحضة ، كان ينبغى أن يتحرك الغزاة بنفس النمط ، الذى تحركوا فيه فى العالم الآخر ، حتى مع وصول ذلك الشبيه المعكوس إلينا نظرا لأنه من الطبيعى أن يجهلوا كل شىء عنه ، ولكن تحركاتهم السريعة ، وانشقاقهم عن التسلسل الزمنى المنطقى ، يؤكد أنهم قد علموا بأمره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلا :

- ليس هذا فحسب ، وإنما أمكنهم اختراق وسائل أمننا ، ومعرفة ترتيباتنا ، الخاصة بمواجهتهم ، وقرروا أن يتحركوا أسرع منا ، حتى لا يفقدوا زمام المبادرة قط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتحرك فى المكان بعصبية ، قائلا :

- هذا أمر بالغ الخطورة يا (نور) ، ولا بد من حسمه بأسرع وقت ممكن ، فلو لم نتمكن من كشف تلك الثغرة وإغلاقها ، قبل أن يبدأ الغزو ، لتحولت إلى سيف حاد ، ينغرس فى قلوبنا بلا رحمة .

زفر الدكتور (جلال) فى توتر ، قائلا :

- هذا لو لم يقطع رءوسنا أولا .

قال (نور) فى حزم :

- دعنا نأمل أن نبلغ نحن رأس ذلك الجاسوس أولا .

رفع القائد الأعلى سبابته ، قائلا :

- المهم أن نحدد هويته فى البداية ، فلن يمكننا فحص ومراجعة أوراق الجميع ، واستجواب كل من تحوم حول موقعه الشبهات ، فى الساعات القليلة القادمة .

أجاب (نور) فى حزم :

- يمكننا أن نختصر دائرة البحث إلى حد كبير ، فالجاسوس الذى نبحث عنه ، يحتل حتما موقعا متقدما للغاية ، بحيث يمكنه الاطلاع على تقارير بالغة السرية ، فى نطاقات عديدة ، وهو مطلع ، فى الوقت ذاته ، على كل ما يخص شبيهى ، وانتقاله من مستقبل عالم إلى عالمنا ، ويدرك مدى خطورة الأمر ، وما يمكن أن يؤثر به على مصير الغزو كله .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ولكن الذين ينطبق عليهم هذا معدودون يا (نور) ، وهم من قيادات الإدارة ، وكلهم تم اختيارهم بدقة بالغة .

قال (نور) في اهتمام :

- ربما تم إبدال أحدهم بوسيلة ما .

قال الدكتور (جلال) في حزم :

- هذا مستحيل ! إجراءات الأمن والتحقق من الشخصية تم تطويرها كثيرًا ، بعد ما حدث من زائر الفضاء السابق [*] ، ولم يعد خداعها ممكنًا .

هزّ (نور) رأسه في إصرار ، قائلاً :

- ولكن من المستحيل أن يخرج الجاسوس عن هذه الدائرة ..

تبادل الدكتور (جلال) والقائد الأعلى نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يزفر الأخير في عصبية ، قائلاً :

- المؤسف أن تحليلك منطقي ومقنع تمامًا يا (نور) .. الجاسوس حتمًا هو واحد منهم للأسف .. سأراجع بيانات الكمبيوتر الخاصة بهم بنفسي ، و .....

(*) راجع قصة (كرة النار) .. المغامرة رقم ١٢٥

قبل أن يتم عبارته ، التمعت عينا (نور) ، وتألقتا بشدة ، فهتف به القائد الأعلى في لهفة :

- (نور) .. لقد توصلت إلى شيء ما .

هتف (نور) في انفعال :

- بالتأكيد يا سيدي .

سأله الدكتور (جلال) في لهفة :

- وما الذي توصلت إليه أيها المقدم ؟!

أجاب (نور) ، بكل حماس الدنيا :

- الجاسوس يا دكتور (جلال) .. لقد توصلت إلى معرفة الجاسوس ، الذي يعمل لحساب الغزاة .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ..

وخفق قلبه ..

بمنتهى العنف ..

* * *



٣ - الجاسوس ..

« الكمبيوتر ؟! .. »

هتفت (نشوى) بالكلمة فى ذهول ، وهى تحدق فى وجه والدها ، الذى شد قامته ، فى اعتداد شديد ، وهو يجيب :

- نعم يا رفاق .. جاسوس الغزاة هو الكمبيوتر نفسه .. آلة تتجسس لحساب غزاة من الآلات .

هتف (أكرم) :

- ولكن كيف ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- الكمبيوتر أصبح كل شىء فى حياتنا ، منذ السنوات العشر الأخيرة ، من القرن العشرين .. كل شىء يدار بوساطته ، وهو منتشر فى كل مكان ، عبر شبكة هائلة لا محدودة ، يتصل بعضها بالبعض ، على نحو لم يحدث فى أى نظام آخر ، عبر التاريخ كله .. إنه يتحكم فى كل أجهزة الرؤية ، والسمع ، والاتصالات ، والمواصلات ، وتخزين المعلومات ،

وحتى الدفاع الجوى والقتال ، وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء ، والتحكم فى شبكة الكمبيوتر هذه ، يجعل المرء مطلعا على كل شىء فى العالم ، ويساعده على تخزين كم لا محدود من المعلومات ، يكفى لبناء صورة تامة عن عالم بأكمله ، بحيث يمكنك فهم طبيعته ، وتضاريسه ، وسكانه ، وحتى مناخه وحشراته ..

سألته (سلوى) فى حيرة متوترة :

- ألهذا أصررت على فصل كل الأجهزة الآلية والإليكترونية عن المقر ، قبل أن تفصح عما لديك ؟!

أجاب فى حزم :

- بالضبط .. إننا لم ندرك بعد كيف يعمل ذلك الجاسوس الإليكترونى ، لذا فمن المحتم أن نتخذ كل الاحتياطات الممكنة .

سأله (رمزى) فى توتر :

- ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف تمكن أولئك الغزاة من السيطرة على شبكة الكمبيوتر ، وحولوا عملها لصالحهم ؟!

أشار (نور) إلى ابنته ، مجيباً :

- هذا ما ستخبرنا به (نشوى) .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

- أنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالطبع .. أنت خبيرة الكمبيوتر بيننا ، ووحدك يمكنك أن توضحى لنا ، كيف يمكن أن يحدث هذا .

قالت مبهوتة :

- هناك وسائل عديدة لذلك !

قال فى حزم :

- أمامك ثلاث ساعات ونصف الساعة ، لتكشفى الوسيلة التى استخدمها الغزاة ، وتجدى وسيلة للسيطرة عليها ، أو هزيمتها تمامًا .

قالت فى توتر :

- ثلاث ساعات ونصف الساعة ؟! ألا يمكننى الحصول على وقت أطول ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

- كلا .. لا يمكنك هذا ، فبعد هذا التوقيت ، ستكون داخل مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، فى

طريقنا ، عبر طريق النجوم ، لمواجهة الغزاة ، والسعى لإغلاق السبيل فى وجوههم .

انعقد حاجباها ، وهى تنهض نحو الباب ، قائلة :

- فلأبدأ على الفور إذن .

سألها فى شىء من الصرامة :

- إلى أين ؟!

أجابته فى دهشة :

- سأحضر جهاز الكمبيوتر الخاص بى .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. لا تحضريه إلى هنا .. أريد هذا المقر نظيفًا ، حتى يتم كشف ذلك الجاسوس الإليكترونى .. اعملى فى مكتبك الخاص ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فاستدار إليه ، وضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر واضح :

- (نور) .. نريدك فى المستشفى الخاص بنا فورًا .

سأله (نور) فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، قائلاً :

- شبيهك يا (نور) .. إنه ..

قاطعه (نور) في توتر :

- هل يحتضر ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه ، في قوة وحدة ، قبل أن يجيب في عصبية :

- كلا .. إنه أمر عجيب .. عجيب حتى إنك لن تصدقه ، إلا لو رأيته بنفسك !

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا في حدة :

- المهم أن تسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك ، قبل أن ينتهي كل شيء .

وكانت هذه العبارة الأخيرة وحدها كافية ، لتخفق قلوب الجميع بمنتهى العنف ..

ولتقفز إلى رءوس الجميع تساؤل مخيف .. للغاية ..

* * *

مع مرور الوقت ، ومواجهة الخطر ، في العديد من الصور ، قد يعتاد المرء رؤية إنسان يحتضر .

ولكن من المؤكد أنه ما من تجربة ، في الحياة كلها ، يمكن أن تجعل المرء يعتاد رؤية نفسه ، وهي تحتضر ..

أو بمعنى أدق ، رؤية شبيه ، هو نسخة طبق الأصل منه ، في هيئته ..

وعقليته ..

وواقعه ..

وتاريخه ..

ولكن بصورة معكوسة ..

لكل هذا ، سرت في جسد (نور) قشعريرة عجيبة عميقة ، وهو يدلف إلى حجرة شبيهه ، في المستشفى التابع لمركز الأبحاث العلمية ، والذي اكتظ بالأطباء والعلماء والباحثين ، الذين راحوا جميعًا يحدقون في تلك الظاهرة العجيبة ، التي أحاطت بالشبيه ..

كان يرقد على فراشه ، شاحب الوجه بشدة ، حتى ليبدو أشبه بالموتى ..

لولا تلك الهالة المحيطة به ..

هالة تتموج بكل ألوان الطيف ، في تناغم ونعومة مدهشين ، حتى ليخيل إليك أنه ملك يحتضر ، وليس بشريًا عاديًا ..

وما إن وقع بصره على (نور) ، وعلى الرغم من كل ما يشعر به ، من ضعف وألم ، لوّح الشبيه بسبابته ، وابتسم في شحوب ، متمتمًا :

ـ هل رأيت ما حدث يا صديقي ؟! ألم تتمنَّ دومًا أن تتألق ، قبل أن تنتهي حياتك ؟!

اقترب منه (نور) ، وسأله في خفوت مشفق :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار الشبيه بيده إلى الأطباء المحيطين به ، متمتمًا :

ـ سلهم .

رفع (نور) عينيه إلى كبير الأطباء ، الذي تنهّد ، قائلاً ، وهو يقلّب كفيه في استسلام آسف :

ـ لقد بلغ المرحلة اللارجعية .. فخلاياه تتفاعل مع عالمنا ، وتنهار في بيئته المعكوسة ، والطاقة الناتجة من الانهيار الخلوي ، هي التي تحيطه بتلك الهالة العجيبة .

تمتم (نور) :

ـ إنني لم أر شيئًا كهذا قط .

هزّ الرجل رأسه ، مغمغمًا :

ـ إنك لن تلتقي بشخص من عالم معكوس كل يوم .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وعاد يلتفت إلى شبيهه ، الذي حاول مرة أخرى أن يبتسم ، وهو يقول بصوت أشبه بالهمس :

ـ هل أدركت ما يعنونه يا صديقي ؟! إنني أحتضر .. حياتي في عالمكم تنتهي ، قبل أن أجد وسيلة لإنقاذ عالمي .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ لا ترهق نفسك بالحديث .. إنك ..

قاطعه شبيهه في تهالك :

ـ بل دعني أتحدث يا صديقي .. الصمت لن يطيل عمري كثيرًا ، ولكن حديثنا قد يطيل أعماركم أنتم .

انعقد حاجبا (نور) ، فتابع شبيهه :

ـ ربما عجزت عن إنقاذ عالمي ، وتجنيبه ذلك الجحيم ، الذي سيبيده حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن من يدري ؟! ربما ساهمت في إنقاذ عالمك أنت .

ثم أدار عينيه فيمن حوله ، متمتمًا :

ـ هلاّ منحتمونا فرصة التحدث وحدنا ؟!

أجابه كبير الأطباء :

- بالتأكيد يا ولدى .. بالتأكيد .

ثم أشار إلى باقى الأطباء ، قائلاً فى حزم :

- هيا بنا .

قال أحدهم فى توتر :

- نغادر المكان ؟! كيف ؟! المفترض أن ..

قاطعه كبير الأطباء فى صرامة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة :

- قلت : هيا بنا .

تبادل الأطباء نظرة صامتة ، ثم غادروا المكان على الفور ، وما إن أغلق آخرهم بابها خلفه ، حتى أشار الشبيه بيده ، قائلاً :

- أغلق كل الأجهزة الإليكترونية ؟!

تردد (نور) لحظة ، وقال :

- بعض هذه الأجهزة يبقيك حيًا .

أجابه فى حزم :

- والبعض الآخر ينقل أحاديثنا للقراء .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

- هل استنتجت هذا ؟!

ابتسم الشبيه ، وغمغم :

- أراهن على أنك فعلت ، فى اللحظة نفسها .

تمتم (نور) :

- تقريبًا .

التقط الشبيه نفسًا عميقًا ، وراح يلهث فى قوة .

فمال (نور) نحوه فى إشفاق ، قائلاً :

- قلت لك : إن الصمت ..

قاطعه مرة أخرى فى عصبية :

- دعك منى ، وأغلق تلك الأجهزة أولاً .. هيا أسرع بالله عليك ، فأنا أزداد ضعفًا .. هيا .

تردد (نور) لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى مفتاح التشغيل الرئيسى ، وأغلقه ، ثم التفت إلى شبيهه ، قائلاً :

- لقد فعلتها .

أغلق الشبيه عينيه بضع لحظات، ثم عاد يفتحهما متسائلاً فى ضعف :

- هل توصلت إلى جواب الأسئلة ؟!

غمغم (نور) :

- ليس بعد .

رفع الشبيه سبابته فى صعوبة ، قائلاً :



التقط الشبيه نفسًا عميقًا ، وراح يلهث في قوة ، فمال (نور) نحوه في إشفاق ..

- أنا فعلت .

هتف (نور) في لهفة :

- حقًا ؟!

أجابه الشبيه :

- أنت أيضًا ستفعلها يا صديقي ، ولكنني أتميَّز عنك بأنني قد رأيت كل شيء بنفسي .

ثم بذل جهدًا ، ليرفع رأسه عن الفراش ، مستطردًا :

- وهذا ما ساعدني على الفهم .

لاحظ (نور) أن الهالة المحيطة بشبيهه تخبو رويدًا رويدًا ، فقال في توتر :

- سأعيد تشغيل الأجهزة .

هتف شبيهه :

- لا .. لا تجعلهم يدركون أننا قد فهمنا هذا .. استمع إليَّ أولاً .

ثم لهث في شدة ، قبل أن يضيف :

- كل هذا ليس حقيقيًا يا صديقي .

سأله (نور) في دهشة :

- ماذا تعني ؟!

أجابه في سرعة ، وصوته يزداد خفوتا ، مع خبو الهالة المحيطة به أكثر وأكثر :

ـ لا تجعلهم يخدعونك .. هذا ما يجيدونه تمامًا .. انظر إلى حقيقتهم ، وليس إلى ما يبدون عليه .. إنهم ليسوا عمالقة يا صديقي .. ليسوا ..

لم يستطع إكمال عبارته ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وبدا وكأن حلقه يغص بالكلمات ، وتلاشت الهالة المحيطة به أو كادت ، فصاح (نور) في ارتياع ، وهو يقفز نحو مفتاح التشغيل الرئيسي ، ويضغطه بكل قوته :

ـ رباه ! لا تستسلم لهذا يا رجل لا تستسلم .

انهار رأس الشبيه على الوسادة ، واتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وغص حلقه بحشرجة عجيبة ، فاندفع (نور) خارج الحجرة ، صائحا :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. إنه ينهار .

اندفع فريق الأطباء إلى الحجرة ، والتفوا حول الفراش ، وراحوا يتأكدون من توصيلات الأسلاك ، وعمل الأجهزة ، التي تقيس النبض وضغط الدم ، ومعدلات التنفس ، وإشارات المخ ، وغيرها من

العلامات الحيوية ، والتي أشارت مؤشراتها كلها إلى الصفر ، على الرغم من الارتجافة الواضحة ، في جسد الشبيه كله ، وفي شفتيه المرتعشتين ، وهو يتمتم :

ـ وهْمٌ .. مجرّد وهْم .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، والتصق بالجدار ، دون أن ينبس ببنت شفة ، أو يحرك ساكنا ، وهو يحدق في شبيهه ، الذي راح الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لإسعافه ، وهو يلهث في شدة ، قبل أن يرفع رأسه بغتة ، ويتطلع إلى عيني (نور) مباشرة ، ثم يشير إليه بسبابته ، قائلاً :

ـ يومًا ما ، قد تجدون وسيلة للعودة إلى عالمي ، في زمن مناسب .. عدني أن تبذل قصارى جهدك عندئذ لـ ..... لـ .....

لم يستطع إكمال عبارته ، فسرت قشعريرة باردة كألف ألف جبل من الثلج ، في جسد (نور) ، وهو يغمغم ، وقد فهم ما يرمي إليه شبيهه :

ـ أعدك .

أغلق الشبيه عينيه في ارتياح ، وترك رأسه يسقط على الوسادة ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

ومع آخر حروف كلمته ، توهجت الهالة المحيطة به ، وتألقت على نحو عجيب ، حتى إنها أضاءت المكان كله بضوء مبهر ، أجبر الجميع على إغلاق عيونهم لحظة ..

لحظة واحدة ، خبا بعدها الضوء تمامًا ..

وانفتحت العيون ..

ثم خفقت القلوب في عنف ..

فقد كان ذلك الضوء المبهر هو الوهج الأخير للهالة ..

ولحياة ذلك الشبيه المسكين ..

(نور) .

(نور) العالم الآخر ..

* * *

« (نور) .. أأنت بخير ؟! »

تسلل صوت (سلوى) حنونًا مشفقًا ، إلى أذني (نور) ، فرفع كفيه عن وجهه ، وأدار إليها عينين

محتقنتين ، من غزارة الدموع الحبيسة فيهما ، وهو يغمغم ، بصوت حمل كل حزن ومرارة الدنيا :

ـ نعم يا (سلوى) .. أنا بخير .

ثم أشاح بوجهه ، مستطردًا :

ـ على عكس شبيهي المسكين .

ربتت على كتفه في عطف وحنان ، مغمغمة :

ـ موته آلمني أيضًا يا (نور) .. إنه شبيهك ، ولكن الموت هو مصيرنا جميعًا .. طال الزمن أم قصر .

هزّ رأسه ، قائلاً في ألم :

ـ لم يستطع إنقاذ عالمه .

قالت :

ـ هذا قدره .

ثم استدركت في سرعة :

ـ ومازال أمامنا قدرنا نحن .

صمت بضع لحظات ، انعقد خلالها حاجباه في شدة ، قبل أن يقول :

ـ صدقت .

والتقط نفسًا عميقًا ، امتلأ به صدره ، قبل أن ينهض ، قائلاً في حزم عجيب :

- وعلينا أن نقاتل من أجله بكل قوتنا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفعت (نشوى) إلى مقر الفريق ، هاتفة :

- أبي .. لقد توصلت إليه .

التفت إليها الجميع في سرعة ولهفة ، فأضافت في انفعال :

- توصلت إلى الجاسوس .

سألها (نور) :

- ما طبيعته بالضبط ؟!

أجابت في سرعة :

- إنه أحد فيروسات الكمبيوتر (*) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

- فقط ؟!

(*) فيروس الكمبيوتر : هو برنامج دخيل ، صغير الحجم في الأغلب ، ولكن له آثارًا مدمرة ، على برامج الكمبيوتر الأخرى ، و ذاكرته الأساسية ، ولا ريب في أن الأطباء النفسيين هم الأقدر على تحليل وتفسير السبب ، الذي يدفع بعض العباقرة إلى ابتكار تلك الفيروسات ، لتدمير أجهزة الكمبيوتر الأخرى ، دون فائدة مباشرة !!

التفتت إليه ، مجيبة :

- لا تستهن بفيروسات الكمبيوتر .. فمنذ أن وضع أحدهم بذرتها الأولى ، في أوائل التسعينات ، من القرن العشرين ، وهي تتطور على نحو مخيف ، ولست أدري لم يبذل البعض كل هذا الجهد ، لابتكار وسائل جديدة ، لإفساد وتدمير أعمال الآخرين ، ولكن أحدهم نجح ، في نهاية القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادي والعشرين ، في اختراع وتطوير جيل جديد من فيروسات الكمبيوتر ، نطلق عليه اسم (الفيروسات الذكية) ، وهي تختلف عن الجيل السابق في قدرتها المدهشة على تطوير نفسها ، وكشف كل محاولات التصدي لها وتدميرها ، ومواجهتها بردود أفعال عنيفة ، قد تؤدي إلى آثار أكثر تدميرًا ، بالنسبة لأجهزة الكمبيوتر ، أو النظم الإليكترونية المحتلة .

سألها (رمزي) في قلق :

- وهل الفيروس الذي تتحدثين عنه ، من هذا الطراز ؟!

أجابت في انفعال :

- بالضبط .

ثم أدارت عينيها في وجوههم ، متابعة :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنه أكثر تطورًا أيضًا ، على نحو يشف عن مدى تقدّم وعبقرية صانعه ، فلديه القدرة على الاختباء بذكاء شديد ، داخل برنامج التشغيل الرئيسي ، لشبكة كمبيوتر المعلومات ، والتوغّل فيها جميعها ، دون أن تكتشف البرامج المضادة للفيروسات وجوده .

سألها (أكرم) مبهورًا :

ـ كيف كشفت أنت وجوده إذن ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ لقد استخدمت برنامجًا جديدًا .

ثم استدركت في انفعال :

ـ وحتى مع هذا ، لم يكن الأمر سهلاً .

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قائلاً :

ـ عظيم .. المهم أنك قد كشفت أمره .. هل يمكنك إبطال مفعوله إذن ، في غضون الساعتين المتبقيتين ، قبل أن ننطلق في رحلتنا ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ تقصد قبل أن نلقي بأنفسنا في قلب الجحيم .

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يستطرد :

ـ هل يمكنك هذا ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ المشكلة ليست مشكلة وقت .

سألها (رمزي) :

ـ مشكلة ماذا إذن ؟!

أجابت بانفعال :

ـ مشكلة أنه ليس فيروسًا ذكيًا فحسب ، وإنما هو فيروس عبقري ، ولولا أنني قد التففت حوله ، وأقنعته بأنني أقوم بفحص روتيني فحسب ، لاتخذ رد فعل بالغ الشراسة ، و ...

ترددت لحظة ، فسألها (نور) في قلق :

ـ وماذا ؟!

رفعت عينيها إليه ، مجيبة :

ـ ودمّر نظام الكمبيوتر لدينا بأكمله .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أنه لدينا أسلوب وقائي ، ضد الفيروسات الذكية .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- لدينا نظام فعال للغاية ، ولكن هذا الفيروس عبقرى ، كما سبق أن أخبرتكم ، وهو جديد تمامًا ولم يتم اختباره أو دراسته من قبل ، والوقت المتبقى لا يسمح بإجراء الاختبارات اللازمة ، قبل البدء بمهاجمته .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يتجه إلى النافذة ، ويتطلع عبرها فى صمت ، قبل أن يلتفت إلى ابنته ، قائلاً فى حزم شديد :

- هناك وسيلة لاختبار الأمر ، خلال دقائق معدودة .

سألته فى دهشة :

- وما هى ؟!

استدار إليها بجسده كله ، مجيبًا :

- أن نهاجم الفيروس على الفور .

اتسعت عيناها فى استنكار مندهش ، وهى تهتف :

- وماذا لو ...

قاطعها فى صرامة :

- هذا سيحسم الأمر فى سرعة .

قالت (سلوى) فى توتر :

- أو يسحق نظامنا الكمبيوترى بضربة واحدة .

هز رأسه فى حزم ، قائلاً :

- لست أظن هذا سيحدث .

سأله (رمزى) :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

أشار بسبابته ، قائلاً :

- لنفس السبب ، الذى أخبرتكم به من قبل .. لأن الكمبيوتر يتحكم فى كل شىء فى حياتنا تمامًا ، حتى أن تدمير شبكته الرئيسية يعنى شل حركتنا عن أى شىء .. بما فى هذا قدراتنا القتالية والدفاعية ، ولو أن خصمنا يمكنه هذا ، لما تردد لحظة واحدة .. صحيح أن فيروسه يمكن أن يوصف بالعبقرية ، فى مجال التسلل والاختباء ، ولكن صانعه يدرك جيدًا أنه لن يصمد أمام مواجهة مباشرة ، مع البرامج المتطورة لدينا ، والخاصة بمكافحة الفيروسات الذكية ، لذا فهو يكتفى بتجنيده كجاسوس للتنصت ، ونقل المعلومات ، وليس كسلاح قتال ، فى مواجهة نظامنا الإليكترونى بأكمله .

بدت الدهشة ممتزجة بالانبهار ، على وجوههم جميعًا ، وهتفت (سلوى) :

- ربّاه ! هذا منطقى تمامًا .

أشارت (نشوى) بسبابتها ، مضيفة :

- إلى أقصى حد .

ثم شدت قامتها ، على النحو نفسه ، الذى يفعله والدها ، وأكملت فى حزم :

- سأبدأ على الفور .

واستدارت تغادر الحجرة ، وتتجه إلى مكتبها الخاص ، فهتف (أكرم) :

- فكرة عبقرية يا (نور) .

ثم ربت على كتف هذا الأخير فى حرارة ، مستطردًا بكل حماس :

- إنك قادر بالفعل على التصدى لهم .

غمغم (نور) :

- أشكرك .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- الواقع أنك عبقرى حقيقى يا (نور) .. وعبقريتك هذه تتفوق حتى على العلم والتكنولوجيا ، وعلى خبرائهما فى كثير من الأحيان .. فأعظم ما فيها هو أنها عبقرية فطرية ، مدعمة بدراسات وثقافات عديدة ، صقلت روعتها ، وحققت تفردها ، على نحو مدهش ، قد لا يتكرر فى الجيل بأكمله ..

بدا الخجل والارتباك ، فى وجه (نور) وصوته ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد .

هتف (رمزى) فى حماس :

- بل وأكثر من هذا يا (نور) .. لقد هزمت الغزاة بذكائك وحسن تفكيرك ، واستنتاجاتك .. أكاد أتخيل تلك الوجوه الآلية ، عندما يدرك أصحابها أنك قد كشفت أمرهم ، وفضحت جاسوسهم ، الذى تصوروا أنه خط قتالهم الأول ، الذى لا يمكن كشفه قط ، و ...

قاطعه (نور) ، وهو يهتف بغتة :

- يا إلهى !

نطقها ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يسأله متوترًا :

- (نور) ! ماذا هناك ؟!

ولكن (نور) دفعه جانبًا ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، على نحو تسمرت له عيون الجميع فى دهشة بالغة ..

دهشة بلا حدود .

* * *

٤ - المهمة ..

انعقد حاجبا العالم المسئول عن إطلاق المكوك الفضائي (ابن ماجد) ، في حنق غاضب ، وهو يقول للدكتور (جلال) في حدة :

- ماذا تعني بقولك هذا يا دكتور (جلال) ؟! لماذا نعيد برمجة المكوك بالكامل ، وبرنامجه يعمل بصورة جيدة للغاية ؟!

وضع الدكتور (جلال) أمامه علبة صغيرة ، تحوي مجموعة الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، اللازمة لإعادة برمجة المكوك ، وهو يقول في صرامة :

- لديّ أسبابي .

سأله العالم في عصبية :

- أية أسباب هذه ؟

أجابه الدكتور (جلال) بنفس الصرامة :

- أسباب أمنية .

ثم أضاف في سرعة ، قبل أن يلقي الرجل سؤالاً آخر :

- والمفترض أن تتم عملية إعادة البرمجة هذه ، في غضون ساعة واحدة ، ودون الاستعانة بأية أجهزة إليكترونية خارجية ، مهما كانت أهميتها .

اتسعت عينا العالم في دهشة محنقة ، قبل أن يهتف :

- ما هذا بالضبط ؟! اختبار كفاءة ؟!

أجابه الدكتور (جلال) في برود :

- بالضبط .

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، مستطرداً :

- ولو أردت رأيي ، فالأفضل أن تبدأ على الفور ، إذ إن الساعة ستنتهي بأسرع مما تتصور .

انعقد حاجبا العالم في حنق وغضب ، ولكن الدكتور (جلال) غادر المكان في سرعة ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

ولثوان ، ظلت علامات الغضب محفورة في وجه العالم ، قبل أن يغمغم في سخط :

- ما الذي يفعلونه بنا ؟! أي عبث هذا ؟!

والتقط حقيبة الأسطوانات المدمجة ، وهو يستطرد:

- كل مرة تقفز إلى أذهانهم وسائل تعذيب سخيفة ،

وعندما تسألهم عما يعنونه ، يجيبونك بأنها أسباب أمنية .

وهز رأسه في قوة ، وهو يجذب جهاز الكمبيوتر الجديد ، الذي أحضروه إليه ، مغمغمًا في سخرية عصبية :

- أيها الأمن ، كم من المهازل ترتكب باسمك .

أشعل جهاز الكمبيوتر الجديد ، وتطلع واجهته الخالية بضع لحظات ، قبل أن يقول في حدة :

- أية سخافة هذه ؟! المفترض أن أقوم ببرمجة هذا الكمبيوتر الجديد أولاً ، ثم أستخدمه لإعادة برمجة المكوك .. أي تعقيد هذا ؟!

ثم أدار بصره إلى الكمبيوتر التقليدي ، على قيد خطوات منه ، وابتسم في خبث ، وهو يضيف :

- ولكن هناك وسائل أكثر سهولة حتمًا .

قالها ، وابتسامته الخبيثة تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

« كل شيء سيسير على ما يرام بإذن الله ، ما دامت برامج المكوك كلها جديدة .. »

نطق الدكتور (جلال) عبارته في ارتياح واضح ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، في حجرة القائد الأعلى ، مستطردًا :

- مع إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) ، سينتهي أمر جاسوس الغزاة تمامًا ، وسيتمكن (نور) وفريقه من الانطلاق في رحلتهم ، دون أن يكشف خصومنا الآليون أمرهم ، ويطاردوهم عبر الكون الفسيح .

تنهد القائد الأعلى ، وهو يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

- هل تعتقد أنه هناك أمل ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يجيب في خفوت :

- لست أدرى .

ثم لوح بذراعه كلها ، مستطردًا :

- لا أحد يدرى .. لا أحد يمكنه الجزم .. الأمل الوحيد لدينا هو أنهم سينطلقون في رحلتهم ، تحت أنف الغزاة ، الذين لن يعلموا بوجهتهم هذه المرة ،

بعد إيقاف مفعول جاسوسهم الإليكتروني الصغير ، المتغلغل في كل نظامنا .

سأله القائد الأعلى في قلق :

- وماذا لو علموا ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، وهزّ رأسه في قوة ، قائلاً :

- ستكون كارثة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وكأنما يحاول تهدئة أعصابه وانفعالاته ، قبل أن يتابع :

- فلو علم الغزاة بوجهة فريقنا ومهمته ، سيجن جنونهم الآلي ، وسيسعون لمنع اكتمال المهمة بأي ثمن .

تمتم القائد الأعلى :

- أي ثمن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وأكد :

- نعم .. بأي ثمن ، فنجاح مهمة (نور) وفريقه يعني أن يغلق طريقهم إلى عالمنا إلى الأبد ، مما يعني بالتبعية فشل حملة الغزو ، وهذا ما لن يمكنهم احتماله قط .

تمتم القائد الأعلى ، وكأنما يحدث نفسه :

- إنهم آليون .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً في حزم :

- آليون مفكرون .. لا تنس هذا أبدًا .. ولديهم أيضًا هدف عجيب ، ألا وهو القضاء على كل صور الحياة بلا رحمة ، في أي عالم يبلغونه ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، لماذا يسعون لهذا الهدف الدموي البغيض .

ثم اعتدل ، مستطردًا في توتر :

- ولكنك لم تخبرني ، ما الذي تتوقعه ، لو علم الغزاة بمهمة (نور) وفريقه ؟!

عاد الدكتور (جلال) يمط شفتيه ، مجيبًا :

- أبسط ما يمكن فعله ، هو أنهم سيهاجمونهم ، عند مدخل طريق النجوم إلى عالمنا .

وصمت لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

- ويسحقونهم سحقًا .

خفق قلب القائد الأعلى في عنف ، مع سماعه العبارة الأخيرة ، وعاد يتراجع في مقعده بمنتهى البطء ، متمتمًا :

- يا إلهي ! أنت على حق يا رجل .. ستكون كارثة .. كارثة رهيبة ..

وعاد قلبه يخفق بقوة أكثر ..

وبعنف بلا حدود ..

* * *

ضغطت (نشوى) أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها فى سرعة وحماس ، وهى تعد برنامجها الخاص ، للقضاء على فيروس الغزاة ، داخل شبكة الكمبيوتر الرئيسية ، وتمتمت فى انفعال :

- هيا أيها الجاسوس الحقير .. اقض لحظاتك الأخيرة ، فبضغطة زر واحدة ، سينتهي أمرك إلى الأبد ..

وارتفعت سبابتها ، واستعدت لضغط الزر الأخير ، وهى تضيف :

- وداعًا أيها الحقير .

وانخفضت سبابتها نحو الزر ، و ..

وفجأة ، اقتحم (نور) الحجرة فى عنف ، واندفع نحوها كالصاروخ ، فتراجعت مذعورة ، وهى تهتف :

- أبي ؟! ماذا ؟!

قبل أن تتم عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكتم

فمها بيده ، وهو يدفعها بعيدًا عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، على نحو أسقطهما معًا أرضًا ، فى نفس اللحظة التي وصلت فيها (سلوى) إلى المكان ، هاتفة :

- (نور) ؟! ماذا دهاك ؟! كيف ...

أشار إليها (نور) بالصمت فى صرامة ، وهو يحمل ابنته ، ويدفعها إلى النهوض ، دون أن يرفع كفه عن فمها ، فاتسعت عيناها فى ارتياع ، تضاعف وهو يدفعها أمامه ، إلى خارج الحجرة ، و (أكرم) يتساءل فى حيرة عصبية :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

واصل (نور) اندفاعه مع ابنته ، نحو مقر الفريق ، وهو يشير للجميع بالصمت ، حتى بلغ المقر ، فرفع يده عن فم ابنته ، هاتفًا :

- أخيرًا !

أسرع (رمزى) يحتوى زوجته بين ذراعيه ، وهو يهتف مستنكرًا :

- ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟!



قبل أن تتم عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكتم فمها بيده ، وهو يدفعها بعيدًا عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

لهثت (نشوى) فى انفعال ، وهى تجيب سؤال زوجها :

ـ أنا أعلم ماذا كان يفعل ؟!

بدا الارتياح على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـ حمدًا لله .

التفتت العيون كلها إلى (نشوى) فى تساؤل ، فتابعت بنفس الانفعال :

ـ أراد أن يمنعني من القضاء على الجاسوس الإليكتروني .

فجَّر جوابها دهشتهم أكثر ، فهتف (أكرم) :

ـ ولكن لماذا ؟! أليس هو من طالبك بالقضاء عليه ؟!

أجاب (نور) هذه المرة :

ـ ومن حسن الحظ أن انتبهت إلى خطأ هذا ، فى الوقت المناسب ..

سأله (رمزى) فى حيرة :

ـ أى خطأ ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أنت بالتحديد نبهتني إليه يا (رمزى) .

هتف (رمزى) فى دهشة :

- أنا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا (رمزى) .. أنت .. عندما أشرت إلى ما سيصيب الغزاة ، عندما يدركون أننى قد كشفت أمرهم .

تساءل (أكرم) :

- وماذا فى هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لقد انتبهت عندئذ إلى أن معرفتهم لما حدث ستغضبهم ، لو أنهم أصحاب عقول حية مفكرة ، ولكن المشكلة هى أنهم عقول آلية بحتة ، لذا فما إن يكتشفوا ما حدث ، حتى ينتقلوا آليًا إلى الخطوة التالية ، التى قد تكون انتقالهم إلى جاسوس آخر بديل ، تجهل كل شىء عنه ، أو يلجئون إلى ضربة عقابية ، تضيع معها عشرات الأرواح ، وتراق لها أنهار من الدم .

ثم أشار بسبابته ، قبل أن يضيف :

- الأكثر خطورة وأهمية ، هو أن جهلهم بما عرفناه ، يمنحنا فرصة نادرة لاستغلال معارفنا هذه ، إلى أقصى حد .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- كيف ؟!

أجاب فى سرعة ، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

- بأن نتظاهر بجهلنا لوجود ذلك الجاسوس الإليكترونى ، وننقل إليهم ما نريد نحن أن يعلموه فحسب .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

- آه .. فهمت .. نفس اللعبة القديمة .. سنجند جاسوسهم ضدهم ، دون أن يدرك أو يدركوا .. سنصنع منه جاسوسًا مزدوجًا ، نوجه من خلاله ضرباتنا إليهم .

هتف (نور) :

- بالضبط .. سنتحدث من خلال سيناريو مدروس؛ لينقل إليهم جاسوسهم ما يوحى بروح انهزامية ، ورغبة قوية فى الاستسلام .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

ـ ليس بصورة مبالغة ، وإلا أدركوا الخدعة ، فمن المؤكد أن لديهم دراسة كافية عن شخصياتنا .

أجابه (نور) :

ـ فليكن .. عليك أنت بإعداد السيناريو ، ولكن في خلال دقائق معدودة ، فمن الضروري أن ننقل إليهم الصورة التي نريدها كاملة ، قبل أن تنطلق خلفهم .

قال (رمزي) في حماس :

ـ اطمئن يا (نور) .. سأبذل قصارى جهدي .

ثم تنهد في قوة ، وابتسم ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك : إنك عبقري يا (نور) ؟! ما فعلته الآن يعني أن تاريخ عالمنا قد اتخذ مسارًا جديدًا بالفعل ، أتمنى أن يكون أفضل من ذلك العالم الآخر ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث ذلك الضجيج بغتة ..

وبمنتهى القوة ..

وارتجّ المكان كله في عنف ..

عنف يوحي بأنه من المحتمل أن يكون مصير عالمهم أسوأ ..

بكثير ..

* * *

كل شيء هادئ في (الإسكندرية) ..

كل شيء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون في أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة ..

المارة يتهادون في بساطة ، و ..

وفجأة ، انبعث ذلك الضجيج ..

انبعث بغتة ، كما لو أن معركة حامية الوطيس قد نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتزج بالرعب والفزع ، وبتساؤل حائر مذعور ، ارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ..

وفي اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خُيِّل للكل ..

لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها خمس مقاتلات عجيبة الشكل ، أشبه بسرب من النحل العملاق ، انقضّ في عنف وشراسة ، على كل ما يسير على الأرض ..

المركبات ..

السيارات ..

الدراجات البخارية ..
الحيوانات ..
وحتى البشر ..
و ..
وفجأة ، برزت سبع مقاتلات أرضية مصرية ..
وانقضت على مقاتلات الغزاة ..
وانطلقت حزم الليزر تشق السماء ..
ولكن مقاتلات الغزاة ، اتبعت التكتيك نفسه ..
مقاتلتان منها انقضت على مقاتلاتنا ، وتبادلت معها إطلاق النار في عنف ..
ومقاتلتان انقضتا على المركبات ..
والسيارات ..
والبشر ..
أما المقاتلة الأخيرة ، فقد انخفضت بسرعة مدهشة ، حتى صارت فوق رءوس المارة المذعورين تماما، ثم انطلقت إلى الجنوب الغربي بسرعة مخيفة..
وانطلقت صرخات رعب هائلة ، والجميع يعدون في كل الاتجاهات ، وكأنها أتت من قلب الجحيم ..
وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وعوت الحيوانات مذعورة ..
وانهمرت حزم الليزر
وسحقت السيارات ..
وأبادت البشر ..
وأسقطت اثنتين من مقاتلاتنا ..
ولكن النسور الخمسة الباقين انقضت ..
وهاجمت ..
وأطلقت حزم الليزر ..
وانفجرت مقاتلات الغزاة ..
وهوت ..
مقاتلتان سقطتا محطمتين ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الأخريان إلى أعلى ..
وانشق ذلك الثقب الأسود ثانية ..
وانطلقت المقاتلتان نحوه ..
ولكن حزمة من أشعة الليزر ، أطلقها أحد نسورنا ، سحقت إحدى المقاتلتين ، قبل أن تبلغه ..
ونجحت الثانية في تجاوزه ..
ثم اختفى الثقب ..
وتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

وبخلاف صوت مقاتلاتنا ، وهى تحوم فى السماء ، ساد هدوء عجيب ..

وعلى الرغم من انتصارنا ، فى تلك المواجهة الجوية الأولى ، كان لذلك الهدوء رائحة مخيفة ..

رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) .. (الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) .. (بكين) .. (ليننجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) .. (بوينس أيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) .. (لوس انجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى نفس اللحظة ، بنفس الترتيب الذى جاء به شبيهك يا (نور) ، مع اختلاف الزمن ، وحجم الخسائر ، وعدد المقاتلات .. »

نطق الدكتور (جلال) الكلمات فى توتر بالغ ، وهو يتنقل بسبابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

ـ وفى كل المواقع لم تستغرق المواجهة سوى

ثلاثين ثانية فحسب ، انسحبت بعدها المقاتلات الناجية ، بعد أن أدركت أننا كنا نعلم مواقعها ونقاط هجومها ، وننتظرها مستعدين ، وليس كما حدث فى ذلك العالم الآخر .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ المفترض أنهم لا يعلمون تفاصيل ما حدث فى العالم الآخر .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :

ـ ولكنهم يعلمون أننا نعلم .

لوّح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :

ـ وحتى لو كانوا يجهلون ، فقد علموا الآن .. ليس من المنطقى أن ننتظرهم عند كل نقاط الهجوم ، دون أن تكون لدينا خريطة كاملة لمواقع هجومهم .

مطّ (نور) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ للأسف .

التفت إليه الرجلان فى دهشة ، وهتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ للأسف ؟!

أجابه (نور) في حزم :

- للأسف أنهم يعلمون أننا نعلم ، فهذا سيدفعهم حتما إلى تغيير خطتهم ، وتعديل استراتيجيتهم ، وانتقاء مواقع جديدة للهجوم ، لا نعلم عنها شيئا ، ويمكنهم منها تكبيدنا خسائر جمة ، تثير المزيد من الذعر والانهيار .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، وقلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلا :

- ما باليد حيلة ؟!

تمتم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مضيفاً :

- كل ما أرجوه الآن هو ألا يكون هذا قد دفعهم إلى تغيير موقعهم ، أو إقامة نقاط حراسة قوية ، على مدخل طريق النجوم إلى عالمنا !

هزّ الدكتور (جلال) رأسه في قوة ، قائلاً :

- لن يكون عندهم الوقت الكافي لهذا .. ثم إنهم لن يعلموا وجهتكم أبدا ، بعد إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) ، والقضاء على جاسوسهم الإليكتروني داخله .

عاد (نور) يلقي نظرة على ساعته ، مضيفا :

- فلننطلق إذن في موعدنا تماما .

تراجع القائد الأعلى في مقعده ، قائلا بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

- انطلقوا يا بني ، على بركة الله .

نطقها ، وقلبه لا يشعر بالارتياح أبدا ..

ففي جزء ما من أعماقه ، كان لديه شعور بأن الأمور لا تسير على ما يرام ..

وأنه من المحتمل أن ينطلق أفراد الفريق في رحلتهم ..

ثم لا يعودوا منها ..

أبدا ..

ومهما كانت النتائج ..

* * *

« من المكوك (ابن ماجد) إلى القاعدة الأرضية .. كل شيء على ما يرام ، ونحن نستعد للانطلاق ، فور انتهاء العد التنازلي .. »

نطق (نور) عبارته في حزم ، وهو يضغط أزرار المكوك ، فاستقر كل من رفاقه على مقعده ، واحكم

رباط حزامه ، وحبسوا جميعًا أنفاسهم ، والعد التنازلي يقترب من الصفر ، في نفس الوقت الذي ينبعث فيه صوت الدكتور (جلال) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

- من القاعدة إلى المكوك (ابن ماجد) .. قلوبنا معكم .. هيا .. انطلقوا على بركة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، اشتعلت المحركات النهائية للمكوك ..

وانطلق ..

ومع انطلاقه ، خفقت قلوب الجميع في عنف ..

حتى (نور) ..

ودوت في آذانهم فرقعة مكتومة ، مع قشعريرة باردة كالثلج ، سرت في أجسادهم ، ورياح ساخنة كالجحيم ، هبّت في وجوههم ..

وفي لحظة واحدة تقريبًا ، قفزت إلى أذهانهم صور مختلفة ..

(أكرم) تساءل : هل سيمكنهم العودة سالمين ، بعد أن يتمّوا مهمتهم .

و (سلوى) انكمشت داخل نفسها في خوف ،

وذهنها يرسم ألف صورة وصورة ، لذلك الإمبراطور الآلي العملاق ، في سفينة الغزاة .

و (نشوى) راحت تعيد كل حساباتها ، الخاصة بالرحلة ، وذلك الجاسوس الإليكتروني العجيب ..

و (رمزي) تساءل في قلق : هل انفصل تاريخ العالمين حقًا ؟!

أما (نور) ، ففي تلك اللحظة ، وبينما ينطلق بهم مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ، راح ذهنه يراجع الأسئلة ، التي ألقاها عليه شبيهه المعكوس ..

وانطلق عقله يبحث عن الأجوبة ..

كل الأجوبة ..

ولكن الوقت لم يمهله ..

ففجأة ، وثب بهم المكوك إلى الفضاء الخارجي ..

إلى نقطة تبعد سنة ضوئية كاملة عن أرضهم ..

وللثوان بدت لهم الصورة كلها مرتبكة مشوشة ..

ثم اتضحت دفعة واحدة ..

وأمام أعينهم ، وإلى مدى البصر ، امتد الفضاء اللانهائي ..

هادئًا ..
خاليًا ..
سرمديًا ..
وفي خفوت ، وكأنما يخشى أن يفسد الصمت والهدوء ، تمتم (أكرم) :
ـ هل وصلنا ؟!
أجابته (نشوى) ، وهي تراجع بيانات الكمبيوتر في سرعة :
ـ نعم .. إنها نقطة الدخول الرئيسية إلى عالمنا ..
تلفت (رمزى) حوله ، مغمغمًا :
ـ عجبًا ! كنت أتصور أننا سنجد الغزاة هنا .
هزت (سلوى) رأسها ، وهي تعمل على جهاز الذبذبات الفائقة ، قائلة :
ـ لست أظنهم بهذا الغباء .. ألم تقرأ مذكرات شبيه (نور) ؟! إنهم يكمنون في نقطة أخرى ، في شبكة طريق النجوم ، ولا يثبون إلى نقطة النجوم إلا في اللحظة المناسبة فحسب .
تمتم :
ـ فهمت .

واصلت (سلوى) عملها في سرعة ، وهي تقول :
ـ أعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نبدأ عملنا على الفور ؛ لإغلاق طريق النجوم هذا في وجه الغزاة .
سألها (أكرم) في توتر :
ـ ماذا ستفعلين بالضبط ؟!
أجابته في انفعال :
ـ مهمتي أن أصل بالذبذبة إلى الدرجة المطلوبة ، وعلى (نشوى) أن تتابع الذبذبة ، حتى تبلغ اللحظة المناسبة ، ليتم إيقافها على نحو حرج .
سألها في عصبية :
ـ وماذا سيحدث عندئذ ؟!
فرقع (رمزى) سبابته وإبهامه ، قائلاً :
ـ سيُغلق طريق النجوم على الفور .
ازدرد (أكرم) لعابه ، مغمغمًا :
ـ وماذا عنا ؟!
سألته (سلوى) :
ـ ماذا تعني ؟!
أشار بيده ، قائلاً في عصبية :
ـ أعني ما موقفنا ، في اللحظة التي سيتم فيها إغلاق طريق النجوم ؟! في أي جانب سنكون عندئذ .

تبادل (نور) و(سلوى) و(نشوى) نظرة متوترة ، قبل أن تجيب (نشوى) :

ـ فى نفس اللحظة ، التى سنبدأ فيها خطوتنا الأخيرة ، ستنطلق عبر أسطوانة صوتية خاصة ، فى محاولة للعودة إلى عالمنا .

سألها (رمزى) :

ـ وما احتمال نجاحنا فى هذا ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تجيب فى عصبية :

ـ ليس كبيراً .

سألها (أكرم) فى حدة :

ـ كم ؟!

ازدردت لعابها مرة أخرى ، وانخفض صوتها كثيراً ، وهى تجيب :

ـ واحد فى المائة .

تراجع (رمزى) بحركة حادة ، واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لقد انطلقنا ، وجميعنا يعلم أنها مهمة انتحارية .. أليس كذلك ؟!

تمتم (أكرم) :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ هيا .. واصلى عملك ، على بركة الله (سبحانه وتعالى) ..

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وغمغمت :

ـ يمكنك إطلاق الذبذبة بعد عشر ثوان ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تطلق شهقة قوية ، جعلت الجميع يهتفون فى آن واحد :

ـ ماذا حدث ؟!

تراجعت بدورها ، وهى تشير إلى الكمبيوتر ، هاتفة :

ـ أليس من المفترض أن أجهزة المكوك كلها تمت إعادة برمجتها ثانية .

قال (نور) فى توتر :

ـ بالتأكيد .

ارتجفت سبابتها المشيرة إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :



ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرة ، وهى تجيب :
ـ الجاسوس ..

ـ ولكنه هنا .

سألها (أكرم) ، فى قلق حائر :

ـ من هو ؟!

ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرة ، وهى تجيب :

ـ الجاسوس .

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتج المكوك كله فى عنف ..

ثم انشق الفضاء عن المقاتلات ..

عشر من مقاتلات الغزاة دفعة واحدة ، أحاطت بالمكوك ، والتفتت إليه بكل أسلحتها ..

وكل شراستها .

* * *



٥ ـ أسرى الفضاء..

مسحت (مشيرة محفوظ) ، صحفية أنباء الفيديو الشهيرة دموعًا ، بدأت تنحدر من عينيها ، وهي تقف في موقع المذبحة ، على كورنيش (الإسكندرية) ، وتمسك (ميكروفون) البث بيد قوية مرتجفة ، قائلة :

ـ سيداتي سادتي .. شاهدوا (أنباء الفيديو) في كل مكان .. إننا نتحدث إليكم من ساحة القتال.. معذرة .. من المذبحة التي صنعها غزاة الفضاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقف طويلاً عند هذا المصطلح!! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد ؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذي لم تتلاش آثاره كلها بعد ؟! ها هي ذي (القاهرة) القديمة ، على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على ما فعله بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقوني .. إنني أشارككم الرعب نفسه .. لا يمكنني أن أتصور ما يمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لا يمكنني أن أتخيل ..

« لقد توقف البث .. »

ارتفع صوت مساعدها بالعبارة ، في عصبية شديدة . فانعقد حاجباها في توتر شديد، وهي تهتف :

ـ ماذا تعني بأن البث قد توقف ؟! من جرؤ على إيقافه ؟!

انفرجت شفتا مساعدها ؛ ليجيب السؤال ، ولكن صوتًا صارمًا انبعث من خلفه ، يقول :

ـ أنا .

أدارت عينيها في سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم انعقد حاجباها في شدة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمات ، تقدم نحوها ، وهو يقدم نفسه في صرامة ، قائلاً :

ـ العميد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومي .

قالت في عصبية :

ـ تشرفنا .. والآن لماذا أوقفت البث ؟!

أجابها في برود لا يخلو من الحزم :

ـ أمن الدولة يحتم هذا .

صاحت في غضب :

- أمن الدولة ؟! أى أمن وأية دولة ؟! وما صلة أمن الدولة بما تقول ؟! إننا نصف حادثة يعرفها الجميع ..

أجاب في صرامة :

- بل تنقلون صورة بشعة للمواطنين ، على نحو يكفى لإصابتهم برعب هائل . نحن في غنى عنه ، في هذه الظروف .

هتفت محنقة :

- ننقل ماذا ؟! لو أنك لا تعلم فالأمر لم يعد بحاجة إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمى .. كل قارة في العالم أصابها ما أصابنا ، وكلها تبث ما حدث ، عبر أقمار صناعية ، تنقله إلى العالم أجمع . فلماذا نتخلف عن الركب .

صاح في صرامة شديدة :

- أي ركب يا سيدة (مشيرة) ؟! إننا ..

قبل أن يتم عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص في جيبه ، فالتقطه في سرعة ، قائلا :

- العميد (أشرف لبيب) .

انعقد حاجباه ، وهو يستمع إلى محدثه في اهتمام ، ثم احتقن وجهه ، وهو يتمتم :

- ولكن يا سيدى ..

بتر عبارته مرة أخرى ، وازداد احتقان وجهه أكثر ، وهو يغمغم :

- كما تأمر يا سيدى .. كما تأمر .

قالها ، وانعقد حاجباه في غضب أكثر ، وهو يعيد جهاز الاتصال إلى جيبه ، ويلتفت إليها ، قائلا في حنق :

- فليكن يا سيدة (مشيرة) .. يمكنك مواصلة عملك .

انفغر فاها دهشة ، وهي تسأله :

- ماذا حدث ؟!

لوح بذراعه هاتفا ، وهو يغادر المكان في عصبية :

- سليهم في القيادة ؛ فهم الذين أصدروا الأمر بهذا .

هتفت :

- حقا ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو يثب في سيارته ، وينطلق بها مبتعدا ، فلوحت هي بذراعها لمساعدها ، هاتفة :

- هيا يا رجل .. أعد البث .

ضغط بضعة أزرار ، ثم أشار إليها بإبهامه ، فهتفت عبر الميكروفون :

- سيداتي سادتي .. هنا (مشيرة محفوظ) ، تعود إليكم من موقع الأحداث ، بعد انقطاع قصير ، خارج عن إرادتنا .. وصدقوني أيها السيدات والسادة ، فعلى الرغم من كل ما حدث ، ومن عشرات القتلى والمصابين ، الذين أسفرت عنهم المواجهة الأولى مع الغزاة ، إلا أن ما حدث ، خلال فترة الانقطاع القصيرة ، يؤكد أننا على مشارف عصر جديد .. عصر صرنا فيه أقرب إلى النصر .. ألف مرة .

قالتها على نحو انتفضت معه قلوب كل سكان الأرض ..

ووُلِدَتْ معه ثورة جديدة في الأعماق ..

ثورة مفعمة بالحماس ..

والأمل ..

* * *

انهمك العالم المسئول عن المكوك (ابن ماجد) ، في مراجعة بعض أوراقه ومستنداته ، وملفاته

المخزنة على الكمبيوتر ، واستغرقه هذا تمامًا ، حتى إن جسده كله قد انتفض في عنف ، عندما أتاه صوت الدكتور (جلال) من خلفه ، متسائلاً :

- أما زلت تستخدم جهاز الكمبيوتر القديم ؟!

استدار في سرعة إلى مصدر الصوت ، والتقط نفسًا عميقًا لتهدئة أعصابه ، قبل أن يهتف :

- دكتور (جلال) ؟! لقد أفزعتني .

كرَّر الدكتور (جلال) سؤاله في صرامة :

- لماذا تستخدم الكمبيوتر القديم ؟!

هزَّ العالم كتفيه في ارتباك ، مجيبًا :

- لقد اعتدت استخدامه ، ثم إنه يحوي عشرات البرامج والـ ...

قاطعه الدكتور (جلال) في حدة :

- قل لي يا رجل : هل استخدمت هذا الكمبيوتر ، في إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) .

تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- الواقع أن ..

صاح به الدكتور (جلال) :

- هل استخدمته أم لا ؟!

ازدرد العالم لعابه في توتر ، وقال :

- لقد أردت إنجاز العمل بسرعة أكبر ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انقض عليه الدكتور (جلال) في عنف غاضب ، وجذبه من سترته ، ليرفعه عن الأرض بمقدار عشرة سنتيمترات ، ويلصقه بالجدار في قوة ، وهو يصرخ في وجهه :

- أيها التعس .. ألا تدرك ما فعلته .. ألا تدرك أية مصيبة تسببت فيها .

اتسعت عينا العالم في هلع ، وهو يهتف :

- كان الوقت ضيقًا ، و ...

قاطعه بصيحة هادرة :

- أي وقت أيها التعس ؟! أي وقت ؟! إنك لا تدرك ما فعلته بإهمالك وتجاهلك الأوامر على هذا النحو ..

ثم تركه يسقط أرضًا ، وهو يضيف في مرارة :

- لقد تسببت في إفساد وتدمير آخر أمل لنا ، في مواجهة ذلك الغزو الرهيب .

اتسعت عينا الرجل ، في هلع أكبر ، وهو يرتجف ، وقد أدرك فداحة ما فعل :

- يا إلهي ! يا إلهي !

هزّ الدكتور (جلال) رأسه في حدة ، قائلاً :

- ادع الله على الأقل ، أن يعيد إلينا خيرة شبابنا ، الذين وضعهم إهمالك في موقف بائس رهيب .

غمغم العالم ، وهو ينهض من سقطته :

- أتقصد (نور) وفريقه ؟! ولكنك لم تحبهم أبدًا .. لقد أخبرتني أكثر من مرة أنك تبغض غرورهم ، وإحساسهم الزائف بالتفوّق ، و ...

هوى الدكتور (جلال) على وجهه بلكمة قوية مباغتة ، وهو يصرخ :

- أيها الغبي .

اتسعت عينا العالم في ذهول ، وهو يتراجع في عنف ، ورأسه يرتطم بالجدار خلفه ، قبل أن يسقط فاقد الوعي ..

وبكل مرارة الدنيا ، أخفى الدكتور (جلال) وجهه بين كفيه ، متمتمًا في مرارة :

- ساعدهم يا إلهي ! ساعدهم .

وهزّ رأسه في قوة ، مستطردًا :

- ساعد الأرض كلها .

وبعد قوله هذا ، اختنقت الكلمات فى حلقه .. بشدة ..

* * *

خفقت قلوب الجميع فى عنف ، عندما أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، وخيل إليهم أن خيوط الليزر ستنهال عليهم من كل صوب ، دون شفقة أو رحمة ، كما أنبأتهم مذكرات شبيه (نور) ، و ...

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، الشبيهة بالنحل العملاق ، وتوقفت حولهم فى الفضاء ، دون أية بادرة للهجوم ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

- ما الذى يسعى إليه هؤلاء الأوغاد بالضبط ؟! إرهابنا ؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- بل أكثر من هذا بالتأكيد ، فقد توقفت كل أجهزة المكوك .

اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

- رباه ! أتعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!

لم يعلق أحدهم على سؤاله ، فتابع فى حزم عصبى :

- إنهم سيعيدون ما فعله أقرانهم ، فى العالم الآخر .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المكوك يتحرك ، وسط المقاتلات المحيطة به ، نحو ثغرة بدأت تتكون فى الفضاء ، فتشبثت (نشوى) بزوجها ، هاتفة :

- (رمزى) .. ماذا سيفعلون بنا ؟!

ضمها إليه فى قوة ، مجيبًا :

- لست أدرى يا حبيبتى .. لست أدرى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولكن أحدًا لن يمس شعرة واحدة منك بسوء ، ما دمت على قيد الحياة .

وانتفض جسدها الضئيل بين ذراعيه ، عندما نطق عبارته هذه ..

لقد استعاد ذهنها ما نقله إليهم (نور) العالم الآخر ..

وفى أعماقها ، هتفت :

- المهم أن تظل على قيد الحياة .

ومع هتافها ، الذى لم يسمعه أحد ، عبر المكوك تلك الثغرة الفضائية ، محاطًا بمقاتلات الغزاة ..

وعلى الرغم من أن الكل كانوا يتوقعون ما سيواجههم ، فقد اتسعت عيونهم جميعاً فى انبهار ، وهم يحدقون فيما أمامهم ..

فعلى الرغم من اتساع الفضاء ولا نهائيته ، بدت سفينة الغزاة أمامهم هائلة إلى حد مخيف ، لا يمكن تخيله ..

كيان هائل عملاق ، فى حجم كوكب كامل ، يسبح فى الفضاء ، محاطاً بأعداد مهولة من المقاتلات ، يكاد يبلغ المليون مقاتلة ، على أدنى تقدير ..

وثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والمكوك يسبح ، محاطاً بمقاتلات الغزاة ، نحو فجوة مضاءة ، فى سفينة الغزاة ، التى تتكون من عدة كرات معدنية عملاقة ، تربطها ممرات ضخمة بعضها بالبعض ، على نحو يبدو لا نهائى ..

وفى خفوت ، تمتم (نور) :

ـ من الواضح أن الزاوية التى ننطلق بها ، تتيح لنا رؤية أفضل لسفينة الغزاة ، فنحن نرى تفاصيل لم يذكرها شبيهى قط .

غمغمت (سلوى) :

ـ أو أنها سفينة أخرى .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهتفت (مشيرة) مذعورة :

ـ سفينة أخرى ؟! أمن الممكن أن تكون هناك سفينة أخرى ، بهذا الحجم الهائل ؟!

بدا (أكرم) شديد العصبية ، وهو يقول :

ـ الآن أصبحت أعتقد أن كل شىء ممكن .

تمتم (رمزى) :

ـ صدقت .

وفى بطء عجيب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضى ينساب ، نحو تلك الفجوة المضيئة ، التى بدأت ملامحها تتضح أكثر وأكثر ، وبدا داخلها ممر واسع مصقول ، يمتد إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وفى نعومة مدهشة ، عبر المكوك ذلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمسافة متر تقريباً ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هبط وسطها تماماً ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت عجيب ، أشبه بطرقات معدنية ، جعل (أكرم) يتمتم فى حدة :

- ما هذا بالضبط ؟! هل سيأتي الإمبراطور الآلي شخصيًا للترحيب بنا ؟!

هزّ (نور) رأسه في بطء ، قائلا :

- لست أعتقد هذا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تحولت تلك الطرقات المعدنية إلى صوت آلي ، يقول :

- أنتم الآن في حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم على الفور .

قال (رمزي) في توتر :

- آه .. نفس ما جاء في مذكرات شبيهك يا (نور) .. التاريخ يعيد نفسه .

أجابه (نور) في حزم ، وهو يضغط زر فتح باب المكوك :

- في عالمنا ، لم يبدأ التاريخ بعد يا رجل .

كانت أجهزة المكوك تشير إلى أن الفجوة خلفهم ما زالت مفتوحة ، وعلى الرغم من هذا ، فالضغط والهواء والحرارة صالحون لخروجهم ، دون أزياء فضائية واقية خاصة ، فغادر جميعهم المكوك ، ووقفوا فوق امتداد أحمر ، أشبه ببساط من المعدن ،

وتمتمت (نشوى) في عصبية ، وهي تحتضن ذراع زوجها :

- ترى ماذا سيفعلون بنا ؟!

تمتم (أكرم) متوترًا :

- سنلتقي بإمبراطورهم المعدني الحقير .

قال (نور) في صرامة :

- اصمت .

أما (رمزي) فربت على يد زوجته ، وهو يهمس في أذنها بحنان مشفق :

- اطمئني يا حبيبتي .. لن أسمح لهم بمس شعرة واحدة من رأسك ، حتى ولو ...

بتر عبارته بشهقة عصبية ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلي مرة أخرى بغتة ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، ترددت في القاعة الواسعة بعنف :

- اسجدوا للإمبراطور .

هتف (أكرم) في غضب :

- أي إمبراطور ؟!

لم يكد يطلق صيحته ، حتى انطفأت الأنوار فجأة ، وساد ظلام دامس ، هتفت خلاله (سلوى) في ذعر :

- رباه ! ذلك الشيء الذي نقف فوقه يتحرك .

احتضنها [نور] في قوة ، ليبث في نفسها شيئا من الطمأنينة ، وهو يقول في شيء من التوتر :

- كنا نتوقع هذا .

أخفت رأسها في صدره ، وكأنما تخفي معها خوفها وذعرها ، وهي تتمتم :

- هذا صحيح .. هذا صحيح ..

انعقد حاجبا [نور] في شدة ، وهو يحاول اختراق الظلام ببصره ، وعقله يعيد طرح الأسئلة السابقة كلها دفعة واحدة ..

لماذا هذا الظلام ؟!

لماذا ؟

لماذا ؟!

ومع تساؤله ، سطعت الأضواء فجأة في وجوههم ، على نحو أغشى أبصارهم جميعا لثوان ، قبل أن يفتحوا عيونهم ، ويحدقوا فيما أمامهم بذهول تام ..

فهناك ..

وعلى بعد أمتار قليلة منهم ، كان ينتصب ذلك العرش العملاق ، بارتفاع ثلاثة أمتار ، وعرض مترين كاملين ..

وفوق ذلك العرش ، كان يجلس الإمبراطور ..

إمبراطور الغزاة الرهيب ..

والآلي ..

* * *

« الأمريكيون واليابانيون قرروا الاستسلام .. »

نطق وزير الدفاع المصري العبارة في توتر ، جعل رئيس الجمهورية يهب من مقعده ، ويحدق فيه بدهشة ، هاتفا :

- ماذا ؟! ولكن لماذا يتخذون قرارا كهذا ؟! لقد اشتبكنا مع مقاتلات العدو بالفعل ، وأسقطنا بعضها ..

هز وزير الدفاع رأسه ، قائلا :

- ليس في كل الجبهات يا فخامة الرئيس ، كما أن الاشتباك لم يمنع من سقوط ضحايا ومصابين ، بلغ عددهم نصف المليون تقريبا ، ثم إن الأمريكيين واليابانيين فحصوا المقاتلات ، التي تم إسقاطها ، وأدركوا أنها مقاتلات آلية ، تقاتل بلا طيارين ، مما يجعل مواجهتها شبه يائسة ، أمام بشر يقاتلون بمشاعرهم وانفعالاتهم ..

هتف رئيس الجمهورية في دهشة :

- ولكننا أخبرناهم كل ما لدينا ، وأبلغناهم أن الغزاة سيبيدون المستضعفين بلا رحمة .

زفر وزير الدفاع ، متمتمًا :

- من الواضح أنهم لا يصدقوننا .

لوّح الرئيس بذراعه ، هاتفًا :

- أرسل إليهم نسخة من كل ما لدينا .. أثبت لهم أننا نسعى لصالحهم فحسب ..

زفر الوزير مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد فعلت .

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يسأله :

- ولم يصدقوا ؟!

هزّ وزير الدفاع رأسه نفيًا فى أسف ، فتراجع الرئيس ، وترك جسده يسقط على مقعده ، وهو يغمغم :

- يا للتعساء !

أشار وزير الدفاع بيده ، قائلاً :

- خبراؤهم رأوا أنه لو أن هدف الغزاة الرئيسى هو إبادة كل صور الحياة على الأرض ، لما انسحبت مقاتلاتهم الآلية ، التى تبقت بعد الاشتباك ، وواصلت

القتال حتى النهاية ، باعتبار أنها لن تحافظ على حياة لا تمتلكها .

قال الرئيس :

- ربما تحافظ على كفاءة عددية أو قتالية .

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

- يرون أن هذا غير منطقى ، فى ظل الكم الهائل من المقاتلات ، الذى أشارت إليه مذكرات (نور) العالم الآخر ، والذى يكفى لسحق قارة كاملة فى دقائق معدودة .

انعقد حاجبا الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- فى هذه النقطة أظنهم على حق ، فالأمر محير بالفعل .

قال الوزير فى توتر :

- رجال المخابرات العلمية أنفسهم يشعرون بالحيرة ذاتها .. وخبراؤنا أيضًا فى الواقع ، وخاصة وهم يعيدون دراسة كل التفاصيل ، التى جاء بها ذلك الشبيه المعكوس ، فأغرب ما فى الأمر ، هو أن غزاة العالم الآخر كانوا يهاجمون الدول فرادى ، وبأعداد محدودة من المقاتلات .. صحيح أنها تفوق مجموع

ما لدى تلك الدول من مقاتلات ووسائل دفاع ، إلا أنها ما تزال محدودة ، نسبة إلى العدد الهائل ، الذي جاء وصفه .

تساءل الرئيس :

ـ ربما لا يمكنهم اختراق طريق النجوم بأعداد كبيرة .

هزّ الوزير رأسه نفيًا ثانية ، وهو يقول :

ـ الخبراء نفوا هذا الاحتمال تمامًا يا سيادة الرئيس .

ازداد انعقاد حاجبي الرئيس ، وهو يقول :

ـ ما السبب الحقيقي إذن ؟!

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

ـ لا أحد هنا يدرى ما السبب .

ثم أشار بيده إلى أعلى ، مستطردًا :

ـ ربما يحصل من هناك على الجواب .

ردّد الرئيس متسائلاً :

ـ من هناك ؟!

أومأ وزير الدفاع برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا فخامة الرئيس .. إنني أقصد رجال

المخابرات العلمية (نور الدين) وفريقه ، الذين يواجهون الخطر الحقيقي الآن في الفضاء ، والذين سيحملون إلينا الكثير من الحقائق والمعلومات ، عندما يعودون إلينا .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

ـ هذا لو عادوا إلينا .

حدّق الرئيس في وجهه بضع لحظات في صمت ، قبل أن يتراجع في مقعده ، متمتمًا :

ـ نعم .. إذا عادوا إلينا .

وفي أعماقه ، ارتبطت العبارة بمزيج عجيب من القلق ، والخوف ، و ...

والشك ..

* * *

لنصف دقيقة كاملة ، حدّق (نور) ورفاقه فيما أمامهم بدهشة وانبهار كاملين ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ..

فعلى الرغم من أن كلاً منهم كانت لديه الصورة كاملة ، إلا أن مواجهة ذلك العملاق الآلي مباشرة ، كانت أمرًا يختلف تمامًا .

ليس من السهل أبدًا أن ترى أمامك شخصًا آليًا ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدنى ، تتوسطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك لتسبر وجوههم وأغوارهم جميعًا ..

ومرة أخرى ، ارتفع ذلك الصوت الآلى ، يقول :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرّر الصوت الآلى ، وكأنما لايبالى بتعليق (نور) :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسّس مسدسه فى حذر :

ـ ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد؟! السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .. وليس للبشر .. فما بالك بالآلات ؟!

كرّر الصوت فى رتابة :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

ومع القول ، تحركت العين الواحدة للآلى العملاق ، وكأنها تفحص وجوه الجميع ، وتدرس ردود أفعالهم المتوقعة ، فقال (رمزى) فى حدة :

ـ من الواضح أنكم تعيشون فى وهم كبير .. إننا لن نسجد لإمبراطوركم المعدنى هذا أو سواه .. ولن ..

تألقت عينا (نور) بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يمسك يد (رمزى) فى قوة ، ليمنعه من الاستمرار ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل سنفعل .

التفت إليه الجميع فى دهشة بالغة ، وهتفت (سلوى) مذعورة مستنكرة :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجاب فى هدوء عجيب ، وهو يرفع عينيه إلى الآلى العملاق :

ـ وهم .. كل هذا مجرّد وهم .

بدا مزيج من الدهشة والحيرة على وجوههم ، وغمغم (أكرم) :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء العجيب :

ـ إنها آخر كلمات شبيهى المسكين .. كله مجرّد وهم .

غمغم (أكرم) فى توتر :



ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلي العملاق مباشرة ..

ـ لم أفهم شيئاً .

وفي اللحظة نفسها ، تعالى الصوت الآلي مكرراً :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة على شفتي (نور) ، وهو يقول :

ـ الإمبراطور ؟! بالتأكيد .. إننا سنقدم للإمبراطور الآلي العظيم كل ..

وسحب مسدسه الليزري في سرعة ، هاتفاً :

ـ كل اعتراضنا .

ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلي العملاق مباشرة ..

وفي نفس اللحظة التي تحطمت فيها العين الواحدة، صرخ (رمزي) :

ـ يا إلهي ! ماذا فعلت يا (نور) ؟!

صاح (نور) ، وهو يجذب زوجته وابنته ، بعيداً عن البساط المعدني الأحمر اللامع :

ـ فيما بعد يا (رمزي) .. سأشرح لكم كل شيء فيما بعد .

وعلى الرغم من إصابته المباشرة ، لم يحرك الآلي العملاق ساكناً .

ولكن صوتًا أشبه بزمجرة ثائرة عنيفة انطلق في القاعة ..

وعلى جانبي العرش الهائل، انفتح بابان صغيران ..

واندفعت عبرهما عشرات من الأجسام الصغيرة ، الشبيهة بالبعوض ، والتي انطلقت نحو أفراد الفريق مباشرة ، وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ، وإبرها الطويلة الممتدة من رءوسها ، تسعى للانغراس في أجسادهم ، في نفس اللحظة التي كرَّر فيها الصوت المعدني ، وكأنه لا يدرك ما حدث :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

وتراجع أفراد الفريق كلهم في سرعة ..

فما يحدث أمامهم ، كان صورة طبق الأصل ، مما رواه (نور) العالم الآخر ..

ولكن النتائج ستختلف حتمًا ، كما اختلفت كل الظروف الأخرى من قبل ..

وهذا يعني أنه من المحتمل أن تكون هذه هي النهاية ..

نهاية فريق (نور) ..

بأكمله .

* * *

٦ ـ الخطة الثانية ..

« سيداتي سادتي .. هنا (مشيرة محفوظ) .. تتحدث إليكم من شبكة (أنباء الفيديو) .. »

تردد صوت (مشيرة) في كل منزل في (مصر) ، من أقصاها إلى أقصاها ، عبر شاشات الهولوفيزيون وأجهزة التلفاز العادية ، والكل يتابعها في لهفة قلقة ، مع استطرادتها ، وهي تشير إلى شاشة كبيرة خلفها :

ـ كما ترون ، فالاستعدادات تتم ، على قدم وساق ، في كل شبر من مصرنا العظيمة ، استعدادًا لملاقاة الغزاة .. كل رجل وامرأة وطفل وشيخ يستعد لمواجهتهم ، بكل قوته وإصراره وحزمه وعزمه ، وإرادته وأمله .. لن نسمح لهم بغزونا مرة أخرى قط .. لن نستسلم .. لن نستسلم أبدًا ..

ارتجفت قلوب الجميع ، مع كلماتها الحماسية ، والشاشة خلفها تنقل صور الاستعدادات، في كل أنحاء (مصر) ، قبل أن تتغير الصورة ، وتنقل الشاشة

مشهد البيت الأبيض الأمريكي . وقد وضعت على أرضية حديقته لوحة عملاقة . كتب عليها :

ـ نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .

وحول اللوحة وقف الرئيس الأمريكي . ونائبه ، وطاقم وزرائه ومساعديه ، وكلهم يتطلعون إلى السماء في قلق شديد ..

وفي أسف وأسى ، تابعت (مشيرة) :

ـ المؤسف أن روح المقاومة هذه ليست القاسم الأكبر ، في كل دول العالم .. العديدون انهاروا قبل الأوان ، وقرروا الاستسلام للغزاة . قبل حتى أن تتبين قوتهم الحقيقية .. وبالذات تلك الدول ، التي قضت زمنًا طويلًا من الزمن ، وهي تتعامل بمنطق القوة وحدها ، بغض النظر عن العدل والحق ، والمساواة .. الدول التي ظلت مثالًا للظلم والبغي ، والكيل بمكيالين .. كلها قررت الاستسلام ؛ لأنها تصورت أن الخصم أكثر قوة ، وهي لا تؤمن إلا بمنطق القوة .. القوة وحدها .

ثم التقى حاجباها ، وبدت أشبه بصورة مجسمة للإصرار والصمود والصلابة ، وهي تهتف :

ـ أما نحن فسنقاوم ، ونستمر ، ونقاتل ، ونناضل .. حتى آخر قطرة دم في عروقنا ، وآخر نفس يتردد في صدورنا .. سنستمر ، ونقاوم ، ونقاتل ، ونناضل ، حتى آخر مواطن ، يحمل في خانة جنسيته اسم (مصر) .. (مصر) الصامدة .. المناضلة .. المقاتلة إلى الأبد .

وراح جسدها يرتجف ، من فرط الحماس والانفعال ، وبح صوتها واختنق ، وهي تنهي برنامجها ، قائلة :

ـ كانت معكم (مشيرة محفوظ) ، من شبكة (أنباء الفيديو) .. ظلوا معنا ، فسنتابع الأحداث أولًا فأولًا .

توقف البث المباشر وساد قاعة التصوير الرئيسية ، في شبكة (أنباء الفيديو) صمت تام ، لم يلبث أن تحول بغتة إلى عاصفة من التصفيق ، ومساعد (مشيرة) الأول يهتف ، بكل حماس الدنيا :

ـ رائع يا سيدة (مشيرة) .. رائع .. لقد تفوقت على نفسك حقًا هذه المرة .

أشارت إليه بيدها ، قائلة في توتر :

ـ لا أريد أية مجاملات .. سأكتفي بقدح من القهوة ، وبآخر التقارير المصورة ، الواردة من موقع الأحداث .

كانت تتجه إلى حجرة مكتبها في خطوات سريعة

واسعة ، عندما استوقفها العميد (أشرف) فجأة ، قائلاً في توتر :

- سيدة (مشيرة) .

التفتت إليه في حدة ، قائلة :

- حسن .. ماذا تريد هذه المرة ؟!

بدا أكثر توترًا ، وهو يقول :

- أردت أن أقول : إن هذا كان رائعًا .

بهتت للجواب ، فحدقت في وجهه ، قائلة :

- ماذا ؟!

انعقد حاجباه ، وكأنما لا يروق له ما سيقوله ، وهو يجيب :

- أقول : إن هذا كان رائعًا.. لقد تحدثت بحماس ، أظنه أشعل رغبة الجميع في المقاومة والقتال .. لقد حققت ما نعجز كلنا عن تحقيقه ، مهما قلنا ، وفعلنا ، وتصورنا أننا نؤدي واجبًا مقدسًا .

حدقت في وجهه مرة أخرى ، قائلة :

- أتدرك ما تقول جيدًا ؟!

لم يرق له سؤالها ، فأشاح بوجهه ، متمتمًا :

- بالتأكيد .

ثم استدار بأسلوب عسكري صحيح ، وغادر المكان

في خطوات أسرع مما ينبغي وهي تتابعه ببصرها في دهشة ، قبل أن تهز رأسها ، مغمغمة في عصبية :

- عجبًا ! يبدو أن الشدائد تصنع المعجزات بالفعل .

قالتها ، ودلفت إلى مكتبها ، وألقت جسدها المرهق ، من فرط الانفعال ، على أقرب مقعد إليها ، وهي تهتف في عصبية :

- أين قدح القهوة ؟

كان الكل يتصورون أن منشأ انفعالها الرئيسي ، هو محاولتها بث الحماس في قلوب الجميع ، ولكن لو اقترب منها أحدهم ، في تلك اللحظة ، وهي تجلس وحيدة في حجرة مكتبها ، لرأى دموعها تغرق وجهها ، ولسمعها تهمس ، بكل لوعة الدنيا :

- يا رب .. أعده إليّ سالمًا .. أعد إليّ زوجي الحبيب .

ثم تنخرط في بكاء حار ..

جدًا .

* * *

لم تكد تلك البعوضات الآلية تنقض على (نور) ورفاقه ، حتى هتف في صرامة ، وهو يطلق أشعة مسدسه نحوها :

- تراجعوا .. إلى المكوك بأقصى سرعة .

هتفت (نشوى) ، وهى تعدو مذعورة :

ـ وأين المكوك ؟!

انتزع من حزامه مسدساً آخر ، وألقاه إلى (رمزى) ، هاتفاً :

ـ ليس بعيداً .

التقط (رمزى) المسدس فى خفة، وعلى الرغم من أنه ليس مقاتلاً ، فقد تحرك بسرعة مدهشة ، فى تناسق بالغ الدقة، مع (نور) و(أكرم) ، ليصنع ثلاثتهم من أجسادهم مثلثاً مقاتلاً ، يحمى داخله (سلوى) و(نشوى) ، والجميع يتحركون فى سرعة ، نحو أحد جدران القاعة ، والرجال الثلاثة يطلقون النار على البعوض الآلى ، الذى ينقض عليهم من كل صوب ..

وبكل ذعرها وهلعها ، هتفت (سلوى) :

ـ لن تنجو يا (نور) .. ستنطفئ الأنوار الآن ، وينقض علينا هذا البعوض الآلى بلا رحمة .

أجابها فى صرامة :

ـ لن تنطفئ الأنوار هذه المرة .

نطقها ، وهو يدير فوهة مسدسه مرة أخرى نحو ذلك الآلى العملاق ، ثم استطرد فى حزم :

ـ لن نسمح لهم بإطفائها .

وانطلقت خيوط الأشعة تنسف بقايا العين الواحدة ، فى منتصف رأس الآلى العملاق ، الذى لم يتحرك من مكانه ، وراحت تضرب عنقه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى عصبية مجنونة ، هتف (أكرم) :

ـ ماذا تفعل بالله عليك يا (نور)؟! إنه لا يهاجمنا.. هم يفعلون ..

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق مسدسه الليزرى مرة رابعة :

ـ الكل يهاجمنا .

ومع قوله ، أصابت الأشعة منتصف عنق الآلى العملاق .

ودوت فى المكان فرقعة قوية ، كادت تصم آذان الجميع ..

ثم هوى الرأس ..

ومع سقوطه ، توقف هجوم البعوض الآلى دفعة واحدة ..

فجأة ، توقفت كل بعوضة فى موضعها ، وأجنحتها الآلية تخفق فى رتابة ..

ثم راح البعوض يحوم فى المكان ، فى حيرة آلية عجيبة ..

وانتقلت هذه الحيرة إلى أفراد الفريق ، و (نشوى) تسأل :

ـ ماذا حدث ؟!

تحرك (نور) فى سرعة ، وراح يتحسس الجدار ، وهو يقول :

ـ فيما بعد .. سأشرح لكم كل شىء فيما بعد .. المهم الآن أن نعثر على المكوك .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ المكوك ؟! ولكنه ليس هنا يا (نور) !! إنه فى قاعة أخرى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هو هنا .

قالها ، وتراجع بضع خطوات ، ثم صوب مسدسه الليزرى إلى الجدار ، مستطردًا :

ـ بالتحديد .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت أشعة مسدسه ، لتضرب ذلك الجزء من الجدار ، و ...

وارتجّ الجدار لحظة واحدة ..

ثم دار حول نفسه فى سرعة متوسطة ..

وعلى الجانب الآخر منه ، بدا مكوك الفضاء ، وهو يدور فى نعومة ، ليدخل نفس القاعة ، التى يقفون فيها .

وفى دهشة عارمة ، تراجع الجميع ، مفسحين الطريق للمكوك ، و (رمزى) يهتف :

ـ يا إلهى ! لقد كان هنا بالفعل .

تلفت (نور) حوله فى توتر متحفز ، حاملاً مسدسه الليزرى ، حتى استقرّ المكوك فى منتصف القاعة كما كان ، فهتف (نور) :

ـ هيا .

واندفع نحو المكوك ، وضغط زرًا إلى جوار بابه ، فانفتح فى نعومة ، ووثب الجميع داخله ، فأسرع (نور) إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب أزراره فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ (أكرم) .. أغلق باب المكوك .

نفذ (أكرم) ما طلبه (نور) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ (نور) .. ماذا يحدث بالضبط ؟! إننى لا أحتمل انتظار التفسير .

أجابه (نور) في انفعال ، وهو يواصل العمل على أزرار الكمبيوتر في سرعة :

ـ لا وقت للشرح والتفسير يا (أكرم) .. هناك أمر بالغ الأهمية ، لا بد أن أنجزه أولاً ، قبل أن يبدأ هؤلاء الأوغاد هجومهم .

اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) في ارتياع ، وهتف (رمزي) :

ـ هجومهم ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً في توتر :

ـ ماذا تصورتم إذن ؟! أنهم سيتركوننا نفسد خطتهم البارعة كلها ، بهذه البساطة ؟!

تبادل الجميع نظرات شديدة التوتر ، قبل أن يهتف (أكرم) :

ـ ما زلت لا أفهم يا (نور) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوت فرقعة قوية في المكان ، وانهار الجدار المواجه للمكوك تماماً ، وظهر خلفه عشرة من المقاتلين الآليين ، يحملون مدافع ليزرية قوية ، ويتجهون نحو المكوك مباشرة ..

ودون إنذار أو إبطاء ، انطلقت حزم الليزر من المدافع القوية ..

ودوت الانفجارات داخل القاعة ..

بمنتهى القوة ..

* * *

كان الأمر عنيفاً ..

إلى أقصى حد ..

حزم الليزر ، التي أطلقها الآليون ، نسفت الجناح الأيمن للمكوك ، وأصابت إطاره الأمامي ، وحطمت نوافذه كلها ، فمال إلى الأمام ، وارتطمت مقدمته بالأرض في عنف ، فهتفت (نشوى) مذعورة :

ـ رباه ! إنهم يهاجموننا في عنف .

وصاحت (سلوى) في هلع :

ـ (نور) .. يبدو أننا لن ننجو هذه المرة .

أجابها في حزم شديد ، وهو يضغط آخر أزرار الكمبيوتر :

ـ ليس المهم أن ننجو .

ثم دفع جسده إلى اليسار ، وجذب ذراعاً صغيرة ، تحمل فوقها إشارة إلى خطورتها وسريتها ، وهو يكمل :

ـ المهم أن تنجو الأرض .

ومع جذب الذراع ، انفتحت فجوة صغيرة ، فى مؤخرة المكوك ، ووثبت عبرها كرة صغيرة ، فى حجم كرة التنس ، لها سطح معدنى داكن ، وانطلقت بسرعة مدهشة ، عبر الممر الطويل ، الذى اتضحت ملامحه ، مع دوران جدار القاعة حول نفسه ، وتجاوزت الفجوة فى نهايته ، لتواصل انطلاقها عبر الفضاء بسرعة مذهلة ..

ورصدت أجهزة سفينة الغزاة انطلاق تلك الكرة المعدنية ..

وسجلت حجمها وسرعتها واتجاهها ..

وأطلقت خلفها عشرات من خيوط الليزر ..

ولكن الكرة راوغت بمهارة مدهشة ..

وساعدها حجمها الصغير على الإفلات والمناورة ..

ثم فجأة ، انطلقت منها ذبذبة قوية ..

ذبذبة ارتجت لها سفينة الغزاة لحظة ..

وانفتحت ثغرة فى الفضاء ..

وعبرتها الكرة بسرعة مذهلة ..

ثم تلاشت الثغرة ..

تمامًا ..

وداخل المكوك نفسه ، لم يشعر رفاق (نور) بما حدث ، مع خيوط الليزر ، التى انهالت عليهم من كل صوب ..

وهتف (أكرم) ، وهو يندفع بمسدسه إلى الباب :

ـ هل سنظل حبيسين هنا ، ليقضى علينا هؤلاء الأوغاد ، كما لو كنا مجموعة من الفئران فى مصيدة ؟!

وفتح الباب فى حدة ، صائحًا :

ـ إننى أفضل الموت مقاتلاً .

هتف به (نور) :

ـ لا .. لا تفعلها أيها التعس .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفعت عبر الباب كرات شفافة صغيرة ، بأعداد هائلة ، جعلت (سلوى) تصرخ :

ـ رباه ! ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

قفز (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، محاولاً حمايتها من تلك الكرات الشفافة ، التى انتشرت فى كل مكان ، و ..

وفجأة ، تألقت كلها فى قوة ..

وانبعث منها ضوء مبهر ..

ومع الضوء ، انطلقت فى أجساد الجميع صاعقة قوية ، انتفضت لها أجسادهم فى عنف شديد ..

ثم سقطوا جميعًا فاقدى الوعى ..

وتلاشى الضوء ..

وفى بطء ، راحت الكرات الشفافة تسبح فوق الأجساد الفاقدة الوعى ، ثم انطلقت تلتصق بجدران المكوك ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الأليون ، أشباه البشر ، حاملين مدافعهم النيزرية القوية ..

وصوبوها كلها إلى أفراد الفريق ..

بلا استثناء ..

أو رحمة ..

* * *

« دكتور (جلال) .. هناك محاولة جديدة لاختراق لمجالنا .. عبر طريق النجوم .. »

تردد ذلك النداء ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، المحدود للغاية ، الذى يحمله الدكتور (جلال) فى ساعته ، فهب من مقعده ، فى حجرة القائد الأعلى ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

ـ أين ؟! وكيف ؟! وما مدى الاختراق ؟!

أجابه صاحب النداء فى توتر :

ـ هذا ما يثير حيرتنا يا سيدى ، فالتردد والذبذبة مناسبان للاختراق تمامًا ، ولكن المدى صغير للغاية، حتى إنه لا يكفى لعبور مقاتلة واحدة ، من مقاتلات الغزاة ..

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم :

ـ صغير للغاية .

أجابه المتحدث :

ـ ربما كان .. أهم .. الرفاق يعتقدون أنه قد يكون .. قنبلة .

قال الدكتور (جلال) فى حزم عجيب :

ـ كلاَّ .. إنه ليس كذلك .

ثم أضاف بلهجة آمرة :

ـ تابعوا الموقف ، وانقلوا إلينا الصورة على الفور، وانتظروا أية تعليمات جديدة .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وقد انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، فسأله القائد الأعلى فى قلق شديد ، وهو ينهض من خلف مكتبه :

ـ ماذا هناك ؟!

ضغط الدكتور (جلال) زرًا ، على سطح مكتب

القائد الأعلى ، فأضيئت شاشة كبيرة أمامه ، وهو يجيب في حزم :

- (نور) وفريقه ما زالوا على قيد الحياة .

هتف القائد الأعلى :

- حقًا ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يسأل :

- ولكن كيف عرفت هذا ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة الكبيرة ، التي نقلت صورة للسماء والسحب ، وهو يجيب :

- سترى بنفسك الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نقلت الشاشة فرقعة مكتومة ، انفتحت بعدها ثغرة في السماء ، اندفعت عبرها كرة صغيرة ، في حجم كرة تنس(*)، لها سطح معدني داكن ..

(*) التنس : رياضة تمارس إما في ملاعب داخلية ، أو في الهواء الطلق ، من قبل شخصين أو أربعة أشخاص ، وينقسم الملعب إلى نصفين ، بوساطة شبكة عرضية ، ارتفاعها في منتصفها ثلاثة أقدام ، وعند طرفيها ثلاثة أقدام ونصف القدم ، وتستخدم فيها مضارب خاصة ، وكرة من المطاط المفرّغ ، مغطاة بقماش خشن .

وبسرعة ، هتف الدكتور (جلال) ، عبر جهاز الاتصال :

- اتبعوها بسرعة .. لا تدعوها تفلت منكم .

تابعت آلات الرصد حركة الكرة في سرعة ، وهي تندفع إلى أسفل ، في مسار منحنٍ ، فهتف القائد الأعلى في عصبية :

- أريد تفسيرًا فوريًا لما يحدث .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة مرة أخرى ، وهو يجيب في لهجة ، حملت انفعالاً واضحًا :

- هذه الكرة كانت خط الدفاع الثاني ، في رحلة فريق (نور) الانتحارية .

سأله القائد الأعلى في دهشة :

- ماذا تعني ؟!

تابع الدكتور (جلال) عملية هبوط الكرة على الشاشة الكبيرة ، وهو يجيب :

- عندما بدأ (نور) رحلته الانتحارية مع فريقه ، كنا نعلم بأمر ذلك الجاسوس الإليكتروني ، ولكننا نجهل تمامًا ما إذا كان هناك جاسوس آخر أم لا ، لذا كان من الضروري أن نضع خطة فرعية ، على نحو بالغ الدقة والسرية ، يتم تنفيذها في حالة فشل الخطة الأساسية ، في إغلاق طريق النجوم .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهذه الخطة الثانية هى الكرة .

أجاب الدكتور (جلال) :

ـ ليست مجرد كرة .. إنها خزانة معلومات .. شىء أشبه بالصندوق الأسود ، الذى تجده فى الطائرات ، والذى ينقل كل الاتصالات التى تمت ، بين الطائرة وقاعدتها الأرضية ، ويسجلها ثانية فثانية .. إنها تحوى التفاصيل الدقيقة ، بالصوت والصورة ، لكل ما مر به المكوك ، منذ غادر الأرض ، وحتى تم إرسالها ، ومن المفترض أن يضيف إليها (نور) أية معلومات جديدة ، أو استنتاجات يمكنه التوصل إليها ، خلال مهمته هذه .. باختصار .. كانت الخطة الاحتياطية تعتمد على تنفيذ الهدف الرئيسى ، الذى سعى إليه (نور) العالم الآخر وفريقه ، فى مهمتهم الانتحارية ، ولكن (نور) اقترح إضافة إمكانية خاصة ، تتيح له إرسال كل تلك المعلومات إلى الأرض ، حتى ولو انتهى أمره وأمر فريقه ، ولهذا تم صنع تلك الكرة ، وتزويدها بذاكرة خاصة ، تحدد مسارها ، وتمكنها من العودة إلى الأرض ، بكل ما تحمله ، أيا كان موضعها ، فى الفضاء السحيق .

قال القائد الأعلى فى غضب :

ـ دون أن يتم إبلاغى بهذا ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ـ لا أظن الوقت يكفى للعتاب .

كانت الكرة تهبط فى تلك اللحظة ، فى حديقة مركز الأبحاث العلمية تماما ، فانبعث صوت ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، يقول فى دهشة :

ـ دكتور (جلال) .. يبدو أنها تستهدفنا مباشرة .

أجابه عبر جهاز الاتصال نفسه :

ـ إنها آمنة يا رجل .. مُرْ رجال المكتب الرابع بالتحفظ عليها ، ونقلها إلى مركز البحث الخاص ، وسأحضر إليكم على الفور .

قال الرجل فى سرعة :

ـ كما تأمر يا دكتور (جلال) .

أنهى الدكتور (جلال) الاتصال ، والتفت إلى القائد الأعلى ، الذى أشار بيده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا .. اذهب لتفحص ما أرسله (نور) ، وسنناقش ما حدث فيما بعد ، عندما تنزاح هذه الغمة .

تنهّد الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ ليست لدي ذرة واحدة من الشك ، في أن (نور) قد أرسل إلينا معلومات بالغة الأهمية ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذي ستقودنا إليه تلك المعلومات ، فإما أن تنزاح الغمة ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ..

ولم يسأله القائد الأعلى عما يعنيه ..

ولكن جسده ارتجف ..

بأكمله ..

* * *

الظلام كان يحيط بكل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

وكانت هناك أصوات تأتي من بعيد ..

من آخر العالم ..

ثم راحت هذه الأصوات تقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتتضح ..

وتتضح ..

« (نور) .. أأنت بخير ؟! » ..

تسلل الصوت إلى أذنيه ، فانتفض جسده انتفاضة خفيفة ، قبل أن يفتح عينيه ، ويحدق فيما أمامه .

كان يرقد داخل حجرة واسعة من المعدن ، بلا نوافذ .. لها باب واحد مغلق ، وحوله رفاقه كلهم ، يتطلعون إليه في قلق ، وزوجته تنحني عليه ، قائلة في صوت أقرب إلى البكاء :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصداع الشديد الذي يشعر به ، وغمغم في ألم :

ـ نحن أحياء إذن .

أجابه (رمزي) في توتر :

ـ إنهم يحتفظون بنا لسبب ما .

غمغم (أكرم) في عصبية :

ـ من حسن حظنا أن الآلات ليست من آكلة لحوم البشر .

أدارت (نشوى) عينيها إليه ، قائلة :

ـ لا تكن واثقًا هكذا .

انعقد حاجباه ، وهو يجيبها :



اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصداع الشديد الذى يشعر به ، وغمغم فى ألم : - نحن أحياء إذن ...

- هل يسعدك إثارة قلقى ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة فى يأس :

- وما الفارق ؟!

مطّ شفتيه ، وأسند ظهره إلى الجدار المعدنى البارد ، داخل الحجرة الخاوية ، وهو يتحسّس موضع مسدسه الخالى فى حزامه ، متمتمًا :

- أنت على حق .. وما الفارق ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- ما داموا قد قرّروا الاحتفاظ بنا على قيد الحياة ، فهناك فارق حتمًا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى حدة :

- (نور) .. أنت تعرف أكثر مما نعرفه بكثير .. أخبرنا ما لديك يا رجل .. ماذا يحدث هنا ؟! وما الذى فعلته فى المكوك ، قبل أن نفقد وعينا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لقد كشفت الوهم فحسب يا صديقى ، وأدركت ما الذى كانت تعنيه كلمات شيبوش المسكين الأخيرة .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- هل لنا فى مزيد من التفسير ؟!

غمغم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم أدار عينيه فى الحجرة الخاوية ، وابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- من حق الجميع أن يعلم ما لدى .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بابتسامته الغامضة هذه بالضبط ..

إلا أنهم أنصتوا إليه جميعًا بكل جوارحهم ..

أما هو ، فقد اعتدل فى مجلسه ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم انطلق يشرح ما لديه ..

بكل التفاصيل ..

وكالمعتاد ، كانت كلماته تحمل مفاجأة .. مدهشة .

* * *



٧ - الوهم ..

انزلقت الكرة المعدنية الصغيرة فى نعومة ، عبر أسطوانة شفافة قصيرة، داخل جهاز الفحص الخاص، فى حجرة التجارب بالقبة المصرية ، فى مبنى مركز الأبحاث ، ولم تكد تستقر داخل تجويف خاص ، حتى راحت شاشات جهاز الكمبيوتر الجديدة تنقل كل المختزن فيها إلى شاشة كبيرة فى المواجهة ..

وفى صمت تام ، راح القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، وعدد محدود للغاية من العلماء ، يتابعون رحلة المكوك (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ..

حتى كانت تلك اللحظة ، التى ظهرت فيها سفينة الغزاة ..

واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

وذعر ..

وخفقت القلوب فى هلع ..

ورعب ..

وبصوت مبحوح من فرط الانفعال ، هتف القائد الأعلى :

- رباه ! مذكرات الشبيه المعكوس أشارت إلى ضخامة تلك السفينة ، ولكنني لم أتصورها قط بهذا الحجم ..

غمغم الدكتور (جلال) في صعوبة :

- كلنا هذا الرجل .

أشار أحد العلماء بيده ، قائلاً :

- وذلك العدد الهائل من المقاتلات .. لست أظن كوكبنا كله يمتلك نصفها .

تمتم القائد الأعلى :

- إنهم قادرون على أن يسحقوننا في ساعات معدودة .

التفت إليه الدكتور (جلال) ، متسائلاً في انفعال :

- السؤال الوحيد : لماذا لم يفعلوا إذن ؟!

التقى حاجبا القائد الأعلى في شدة ، وهو يتابع تلك المشهد المبهر على الشاشة ، قبل أن يغمغم :

- نعم .. لماذا لم يفعلوا ؟!

لم يجب أحدهم السؤال ، وهم يتابعون حركة المكوك ، الذي ينزلق في نعومة ، عبر الممر الطويل، داخل سفينة الغزاة ، ثم يستقرّ في منتصف تلك

القاعة الضخمة ، وسمعوا ذلك الصوت الآلي ، وهو يأمر (نور) ورفاقه بالسجود للإمبراطور . فتمتم أحد العلماء :

- رباه ! كيف يحتمل (نور) وفريقه هذه الأهوال؟!

قال الدكتور (جلال) ، في لهجة تحمل الكثير من الاحترام :

- إنهم ليسوا مثلنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- إنهم أبطال .

التفت إليه القائد الأعلى في دهشة ، ثم عاد يتطلّع إلى الشاشة ، مغمغماً :

- صدقت .

مع آخر حروف كلمته ، انطفأت الأنوار داخل القاعة ، التي استقرّ فيها المكوك، فهتف أحد العلماء:

- يا للسخافة ! سيفوتنا جزء بالغ الأهمية .

أشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- لن يفوتنا شيء .. الكرة ستطوّر نفسها على الفور ، وتنتقل إلى الرؤية باستخدام الأشعة دون الحمراء ..

تحولت الشاشة مع كلمته إلى لون أخضر زاهٍ ، صبغ كل شيء ، والكرة تنقل كل ما سجلته ، في أثناء فترة الإظلام ، و ..

« ربّاه ! هل ترون ما يحدث ؟! »

حدّق الجميع فيما أمامهم بدهشة بالغة ، وغمغم الدكتور (جلال) في انفعال :

ـ عجبًا ! لماذا يحدث هذا ؟! المفترض أن السفينة ضخمة للغاية ، حسبما ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يكمل في حماسة :

ـ حسبما تبدو .

التقت عيون الجميع في لحظة واحدة ، وبدا وكأنهم قد استوعبوا الأمر بأكمله ، فهتف الدكتور (جلال) :

ـ ربّاه ! هذا ما أراد (نور) أن يخبرنا به .. حرّك الصورة بسرعة يا رجل .. أريد القفز إلى استنتاجاته مباشرة .

ضغط أحد العلماء زرًا ، فتوالت الصور في سرعة، ونقلت الشاشة مشهد الآليين، وهم يهاجمون المكوك، ويمطرونه بحزم الليزر ، فتراجع الجميع في حدة ، وهتف القائد الأعلى :

ـ يا إلهي ! إنهم يهاجمونهم .

ردّد أحد العلماء :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

ولكن فجأة ، اختفت الصور ..

وأظلمت الشاشة تمامًا ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب ، قطعه الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم بصوت حمل كل مرارة الدنيا :

ـ هذا آخر ما سجلته الكرة .

ازدرد كل منهم غصة في حلقه ، دون أن ينبس ببنت شفة .

ثم أضاءت الشاشة مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، كانت تحمل كلمات (نور) ..

وأفكاره ..

واستنتاجاته ..

وفي هذه المرة ، اتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب حتى أقصاها ..

فالمكتوب أمامهم كان كفيلاً بأن يقلب الصورة كلها ..

رأسًا على عقب ..

وينتهى العنف ..

* * *

« كل هذا مجرد وهم .. »

نطق (نور) العبارة فى هدوء عجيب ، وهو يسند ظهره إلى الجدار المعدنى للحجرة ، وأشار بيده إليها، متابعًا :

ـ السفينة الهائلة ، وأعداد المقاتلات الخرافية ، والآلى العملاق ، كلها مجرد خطوط عريضة ، فى خطة منمقة للحرب النفسية ، هدفها الأول هو تحطيم الروح المعنوية لسكان الأرض ، لضمان الانتصار الساحق عليهم .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل تقول : إن هذه السفينة ليست ضخمة كما تبدو ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .. كل ما ترونه عبارة عن سفينة فضائية محدودة ، أضيف إليها هيكل زائف ، يعتمد فى معظمه على صور هولوجرافية متقنة ، بحيث

يوحى بأننا أمام كوكب عملاق .. أما تلك الأعداد الرهيبة من المقاتلات ، فمعظمها مجرد هياكل فارغة ، وصور خداعية ، الغرض منها إيهامنا بقوة الغزاة التى لا تقهر .

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ ولكن أحدًا لن يمكنه رؤية كل هذا يا (نور) .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ خطأ يا عزيزتى .. (نور) العالم الآخر أتى لرؤيته مع فريقه ، ونحن فعلنا .. أى كوكب يواجه ما يواجهه كوكبنا ، كان سيرسل حتمًا حملة استكشاف ..

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حماس :

ـ لهذا لم تحاول المقاتلات الآلية ، التى حاصرت مكوك أشباهنا ، أن تسحقه مباشرة ، على الرغم من أن كل ما فعلته قبل هذا أو بعده ، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ، أنها لا تقيم وزنًا للحياة البشرية وغير البشرية بكل صورها .. الواقع أنها لم تفعل ؛ لأنها كانت تريد منا أن نأتى ، وأن نشاهد ما شاهدناه ، ونسجل ما سجلناه .. وإطفاء الأنوار لم يكن سوى وسيلة مسرحية ، لتغيير ديكورات القاعة ، بما يوحى

إلينا بأننا انتقلنا إلى قاعة أخرى ، وخاصة عندما
نشعر بذلك البساط المعدنى يتحرك تحت أقدامنا ..
تماما مثلما يحدث على المسرح .. عدة ديكورات
لمشاهد مختلفة ، على محور دائرى ، بحيث يمكن
إحلال بعضها محل بعض ، بحركة ناعمة سريعة ..
كل هذا لنقتنع بأننا داخل سفينة فضاء عملاقة ..

تمتمت (نشوى) فى انبهار :

- رباه ! استنتاجك هذا يفسر كل شىء يا أبى ..
لهذا كانوا يعتمدون على الضربات السريعة الخاطفة..
ولهذا أيضا ركزوا هجومهم على كل دولة على حدة ،
حتى يستخدموا قوتهم الفعلية كلها للانقضاض عليها
وسحقها .

أجاب فى سرعة :

- بالضبط .. ولقد جعلونا نواجه آلى عملاق ،
وبعوض قاتل، وهاجموا شبيه (رمزى) فى العالم الآخر،
وقتلوه - بلا رحمة - ليوحوا برغبتهم فى احتجاز
الباقين ، فى حين أنهم تركوهم يفرون ، ولم
يحاولوا حتى تعقبهم، على الرغم من أنهم يمتلكون
مفاتيح طريق النجوم ، وكان يمكنهم الانطلاق
بعشرات المقاتلات خلفهم ، وسحقهم بلا رحمة .

ثم عاد يدير عينيه فى المكان ، واستعادت شفتاه
تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يتابع :

- كان الهدف الرئيسى هو أن يعود الفريق إلى
الأرض ، وينقل الصورة كلها إلى سكانه ، لبث الرعب
فى قلوبهم ، وتحطيم معنوياتهم ، وتدمير روح القتال
فى أعماقهم .. نفس الأسباب التى جعلتهم يختارون
أهدافهم بعناية ، وبوسيلة تصنع أكبر ضجة ممكنة ..
لقد هاجموا قصر الرياضة ، فى العالم الآخر ،
ولم يحاولوا مهاجمة قاعدة جوية ،أو ثكنة عسكرية..
وحتى فى انقضاضاتهم المباغتة ، كانوا يتحاشون
المواجهة المباشرة ، بكل وسيلة ممكنة .

كان رفاقه يتطلعون إليه بدهشة بالغة ، فتوقف عن
حديثه ، والتقط نفسا عميقا ، ملأ به صدره كله ، قبل
أن يقول :

- هل تدركون ما الذى يعنيه كل هذا ؟!

أطل تساؤل قلق من عيونهم ، فتابع فى حزم :

- يعنى أن المواجهة ممكنة، والانتصار على الغزاة
ليس مستحيلا ، كما تصور أقراننا ، فى العالم الآخر .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هذا لو علم عالمنا بما كشفته يا (نور) .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

- لقد علموا .

تفجرت دهشة عارمة فى وجوههم ، وهم يحدقون فى وجهه ، قبل أن يهتف (رمزى) :

- لا تقل لى : إن هذا ما كنت تفعله فى المكوك ، عندما هاجمنا الآليون .

أجابه (نور) ، بإشارة من يده :

- بالضبط .

ثم اعتدل ، ونهض واقفا على قدميه ، مستطردًا فى حزم :

- فى نفس لحظة الهجوم ، أطلقت كرة خاصة ، تحمل كل المعلومات والتفاصيل ، إلى الأرض .. ولقد نجحت فى مهمتها ، وإلا لتلقيت إشارة خاصة .

هتفت (سلوى) :

- إذن فهم يعلمون .

أجابها فى حزم شديد :

- وسيقاتلون .

تبادل الجميع نظرة مفعمة بالأمل هذه المرة ، وتساءل (أكرم) :

- ولكن كيف يمكن لعقول آلية أن تضع خطة خبيثة ومعقدة إلى هذا الحد يا (نور) ؟

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يشير بسبابته ، قائلاً :

- هذا أيضًا جزء من خطة الحرب النفسية .

وتطلع إلى باب الحجرة بضع لحظات ، قبل أن يتابع ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :

- فالشعور بأنك تواجه آليين ، يجعلك تتصور أن النصر أمر مستحيل ، وأن القسوة التى تبلغ حد الوحشية ، ستكون هى الأساس فى القتال .

هتفت (سلوى) مبهورة :

- هل تقصد أننا لا نواجه آليين ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

- ولا حتى أنصاف آليين .

سأله (أكرم) فى توتر :

- وماذا عن ذلك الإمبراطور العملاق ؟!

هز كتفيه ، مجيبًا :

- أتقصد ذلك الذي لم يحرك ساكنًا ، ونحن ننسف آلة المراقبة في منتصف رأسه ، ثم نسقط جهاز الرصد كله ، المتمثل في الرأس نفسها ؟! أي إمبراطور هذا يا رجل ؟! لقد كان وسيلة لرصدنا فحسب ، وعندما أوقفنا الرصد ، لم يعد ذلك البعوض الآلي قادرًا على مهاجمتنا مباشرة .

غمغم (رمزى) في انبهار واضح ، وهو يتطلع إلى (نور) :

- يا إلهي ! إنك عبقرية مدهشة بالفعل يا (نور) .. كيف يمكن لعقلك إيجاد تفسير منطقي لكل شيء ؟!

لم يجب (نور) على السؤال ، وهو يهز رأسه في بطء ، فهتفت (نشوى) :

- بقي أمر واحد .. كيف يبدو الغزاة الحقيقيون ؟!

أشار بيده إلى (رمزى) ، قائلاً :

- دعينا نلقى هذا السؤال على زوجك .

قال (رمزى) في دهشة :

- علىَّ أنا ؟!

أجابه في سرعة :

- بالتأكيد .. أنت الخبير النفسي الوحيد بيننا ، والذي

يمكنه أن يفسر لنا ، لماذا يصر كائن ما على أن يوحى بأن كل ما يحيط به هائل ، ضخم ، عملاق ..

أجابه (رمزى) في سرعة وحماس :

- إنه يفتقر إلى كل هذا .

هتف (نور) :

- بالضبط .

لم يكد هتافه ينطلق ، حتى انبعث صوت عجيب داخل الحجرة الخالية ..

صوت أشبه بزمجرة وحشية مكتومة ..

ثم تحرك الباب الوحيد في بطء ..

ومن خلفه ظهر شيء ما ..

أو شخص ما ..

بل شخصان ..

شخصان آليان ضخما الحجم ، يحملان مدفعين ليزريين قويين .

وبينهما كان يقف كائن حى .

أول كائن حى ، تقع عليه عيونهم ، في تلك السفينة ..

سفينة الغزاة ..

* * *

بدا الرئيس الأمريكي شديد العصبية والتوتر ، عندما ظهرت صورته على شاشة الاتصالات الخاصة المؤمّنة ، في حجرة رئيس الجمهورية المصري ، وانتقل توتره وعصبيته إلى صوته في وضوح ، وهو يقول :

ـ لست أدري لماذا طلبت إجراء هذا الاتصال الخاص المؤمّن ، في هذه اللحظات بالذات أيها الرئيس .. أنت تعلم أن الأوتار كلها مشدودة إلى أقصى حد ، ونحن ننتظر ظهور الغزاة في أية لحظة ، و .....

قاطعه الرئيس المصري في حزم :

ـ لقد وصلتنا معلومات جديدة .

هزّ الرئيس الأمريكي رأسه في حدة ، وهو يقول :

ـ لا داعي لأية محاولة إقناع أخرى .. لقد ناقشنا كل الأمور ، وخبراؤنا أيدوا ما نفعله تمامًا .

سأله الرئيس المصري :

ـ وماذا لو أن هناك وسيلة مؤكّدة للنصر ؟!

هتف الرئيس الأمريكي في عصبية :

ـ لن يمكنكم إقناعنا بهذا .

قال الرئيس المصري في هدوء :

ـ حتى ولو كان لدينا الدليل المادي على هذا .

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكي ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع الرئيس المصري في شيء من حماس :

ـ شاهد هذا أولاً .

قالها ، وضغط زرًا على مكتبه ، فانطلق جهاز بث خاص يعمل ، لينقل كل ما حملته الكرة المعدنية إلى شاشة الرئيس الأمريكي ، الذي لم ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع المشاهد مبهوتًا مبهورًا ، حتى انتهى البث ، فسأله الرئيس المصري في اهتمام :

ـ ما رأيك الآن ؟!

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتي صوت الرئيس الأمريكي متحشرجًا مبحوحًا ، من فرط الانفعال ، وهو يسأل :

ـ هل عرضت هذا على الآخرين ؟

أجابه الرئيس المصري :

ـ على الروس والفرنسيين فحسب .

سأله الرئيس الأمريكي :

- وماذا كان جوابهم ؟!

أجابه الرئيس المصرى فى حزم :

- سينضمون إلينا .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، تنحنح خلالها الرئيس الأمريكى مرتين ، قبل أن يقول :

- ألديكم خطة بعينها ؟!

أجاب الرئيس المصرى ، وهو يشير إلى وزير الدفاع ، الذى يقف إلى جواره :

- بالطبع .. وسينقلها إليكم وزيرنا ، عبر الشبكة المغلقة .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

- ولو وافق الباقون ، فثق أن الكفة ستنقلب تمامًا يا رجل .

غمغم الرئيس الأمريكى :

- أتمنى هذا أيها الرئيس .. أتمنى هذا .

نطقها بصوت يحمل قدرًا هائلاً من التوتر ..

والقلق ..

والانفعال ..

كل انفعال الدنيا ..

* * *

على الرغم من كل ما قاله (نور) وأوضحه ، وما قدره (رمزى) وأشار إليه ، كان وقع المفاجأة على الجميع قويًا للغاية ، وهم يحدقون فى ذلك الكائن الواقف أمامهم ، بين الآليين ، بكل دهشتهم واستنكارهم ..

كان كائنًا بشرى التكوين ، ضئيل القامة ، لا يزيد طوله عن متر واحد ، يحتل رأسه الضخم ثلثه تقريبًا ، بعينيه الواسعتين الكبيرتين ، وأنفه الصغير ، وفتحة فمه الشبيهة بشق عرضى رفيع ، بلا بروز أو شفتين ..

وكان يرتدى زيًا أزرق اللون ، يتناقض مع بشرته الشاحبة ، الشبيهة بوجوه الموتى ، وحذائه الأحمر اللامع ، الذى يناسب مقياس طفل صغير ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظل الجميع يحدقون فى وجه ذلك الكائن، الذى عقد ذراعيه الصغيرين أمام صدره ، وهو يتطلع إليهم بدوره ، قبل أن يقول :

- لم يتوقع أحدكم هيئتى هذه .. أليس كذلك ؟!

كان الصوت يخرج من فمه الرفيع ، إلى جهاز صغير متصل برأسه ، فتتم ترجمة كلماته إلى اللغة



وبدقيقة أو يزيد ، ظل الجميع يحدقون في وجه ذلك الكائن ، الذي عقد ذراعيه الضخمين أمام صدره ..

العربية ، التى تنقلها مكبرات صوت خفية ، فتتردد فى الحجرة كلها ، بصوت آلى مخيف ..

وفى هدوء مستفز ، أجابه (نور) :

ـ بلى .. ولكن هذا يوافق استنتاجاتنا .

أدار ذلك الكائن عينيه إليه ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك أكثرهم ذكاء .

أجابه (نور) ، فى شىء من السخرية :

ـ ومن الواضح أيضًا أنكم تراقبون كوكبنا منذ زمن طويل ، فلديكم فكرة جيدة عن طبيعتنا ، ولغتنا ، وأساليب تفكيرنا ، وإلا ما أجدتم حربكم النفسية إلى هذا الحد .

هزّ الكائن رأسه ، وقال :

ـ هذه الأمور تتشابه ، فى الكون كله أيها الأرضى .. كل المخلوقات المفكرة تتأثر بالاختلالات المعنوية ، وبالخوف من المجهول .. كلها يمكنك أن تهزم أعماقها ، قبل أن تواجهها وجهًا لوجه .. المهم أن تجيد قواعد اللعبة .

قال (أكرم) فى عصبية غاضبة :

ـ هل تعتبر كل تلك المذابح الدموية مجرد لعبة ؟!

أدار المخلوق عينيه الواسعتين إليه في بطء ، وتطلع إليه بضع لحظات في صمت ، قبل أن يقول ، عبر جهاز الترجمة الآلي :

ـ الحياة كلها مجرد لعبة .. أنتم أنفسكم لا تعتبرونها أكثر من هذا ، وإلا ما أسأتم إليها إلى هذا الحد .

انعقد حاجبا (رمزي) وهو يتطلع إليه في اهتمام ، في حين هتف (أكرم) في حدة :

ـ نحن نسيء إلى الحياة ؟! نحن ؟!

أجابه الكائن ، وهو ينظر إليه بعينيه الواسعتين في صرامة :

ـ بالتأكيد .. ألا تدركون حقًا ما تفعلونه بكوكبكم ؟! آلاف .. بل ملايين الأطنان من الغازات السامة ، تطلقونها من آلاتكم ومركباتكم ، ومنازلكم كل يوم .. مئات الجالونات من النفايات الكيماوية تلقى في المحيطات والبحار والأنهار كل دقيقة .. الآلاف الكيلوجرامات من المواد المشعة يتم دفنها في رمال الصحراء كل يوم .. غابات بأكملها تتم إبادتها ، من أجل أخشابها .. مبيدات حشرية تنطلق في كل ركن ..

أسمدة كيماوية تغذي طعامكم وطعام حيواناتكم وماشيتكم ، التي تتغذون عليها .. نباتات غير طبيعية ، تنشأ من تجارب الجينات وهندسة الوراثة والاستنساخ كل دقيقة .. هل تصورتم أن هذا سيبقى عالمكم على حاله ، مهما طال الزمن ؟! خطأ .. خطأ .. خطأ .. إنكم تدمرون الطبيعة حولكم في بطء ، وكل ما أفعله هو أن أعجل بالنتائج .

قال (تور) في حدة :

ـ بأي حق ؟! أتتصور نفسك إلهًا ، يحق له تقرير مصائر الآخرين ، لمجرد أن أحوالهم لا تروق له .. حتى الإله (سبحانه وتعالى) لا يفعل هذا ..

قال الكائن ، وقد أطل غضب عجيب من عينيه الكبيرتين :

ـ من لا يحافظ على كوكبه ، لا يستحق العيش على سطحه .

ثم تقدم داخل الحجرة ، وتبعه الأليان ، وهو يواصل :

ـ أنتم تمتلكون نعمة لا تدركونها .. عالم بأكمله ، توفرت فيه كل سبل العيش .. كل شيء فيه متقن ، متناغم ، متوازن ، متكامل ،

غمغمت (سلوى) في حزم :

ـ لأنه من صنع الخالق (عزّ وجلّ) .

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تدمرونه بلا هوادة .. كم من الحيوانات والطيور شارفت على الانقراض ؛ لأنكم زحفتم بمدينتكم إلى مواطنها الطبيعية ؟! كم من البشر سحقتموهم في حروب طاحنة ، من أجل مطامع استعمارية واقتصادية ؟! بل كم منهم يموت جوعًا وعطشًا في كل ساعة ، وغيره يعاني من التخمة والإسراف ؟! كم .. وكم .. وكم .. لو بدأنا في تعداد ما ترتكبون من أخطاء وموبقات ، لن يكفي العمر كله لهذا .

ازداد انعقاد حاجبي (رمزي) ، وهو يتطلّع إليه في اهتمام قلق ، في حين قالت (نشوى) في حدة :

ـ ربما نكون قد ارتكبنا عشرات الأخطاء بشأن كوكبنا ، ولكن حتى هذا لا يمنحك الحق في الإساءة إليه بأية صورة من الصور .

التفت إليها في حركة حادة ، قائلاً :

ـ ومن يمكنه إقرار هذا ؟ أنت ؟!

تقدّم (أكرم) نحوه ، هاتفًا في شراسة :

ـ وليس أنت بالتأكيد .

تراجع الكائن في سرعة ، وهو يشير بيده الصغيرة ، قائلاً :

ـ إياك حتى أن تحاول .. الآليان سيسحقان كل من يحاول الاقتراب مني أو إيذائي .

هتف (أكرم) في حدة :

ـ من الواضح أنك تعتمد كثيرًا على الآلات .

ارتفع المدفعان الآليان في وجهه بسرعة ، وهتف الكائن :

ـ لقد حذّرتك .

صاح (أكرم) في غضب :

ـ ومن قال : إنني أهتمّ ؟!

أمسك (نور) ذراعه في قوة ، وهو يقول في صرامة :

ـ تمالك نفسك يا رجل .. لا تمنحه المبرّر لقتلك .

قال (أكرم) في عصبية :

ـ وهل تعتقد أنه سيبقي علينا ؟!

أدار (نور) عينيه إلى الكائن ، قائلاً :

- إنه يبقى علينا لسبب ما .

اعتدل الكائن ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى هدوء :

- وهذا السبب يندرج تحت قائمة المادية نفسها بالطبع .

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- عالمنا لم يعرف أبدًا هذه المصطلحات المعقدة ، لشرح طبيعة التفكير والمشاعر ، ولكن قدومكم إلى هنا ، فى مهمة انتحارية كهذه ، يعنى أنكم فريق خاص للغاية ، ثم إن مركبتكم الفضائية كانت مزودة بأجهزة خاصة ، يمكنها إغلاق ما تطلقون عليه اسم (طريق النجوم) إلى الأبد ، مع كل ما يحمله هذا من احتمالات عدم عودتكم ، إذن فأنتم انتحاريون ، لا قيمة لحياتكم نفسها عندكم .

قال (نور) فى حزم :

- فى سبيل الواجب .

تابع الكائن ، وكأنه لم يسمعه :

- وبالتالى ، لن يضيركم أن أقتلكم هنا فورًا .. ولن يفيدنى هذا أيضًا .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

- أتعنى أنك لن تقتلنا ؟!

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- بل سيفعل .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، وبدا توتر ملحوظ، فى عينى الكائن الواسعتين ، فتابع (رمزى) فى حزم :

- ولكن بعد أن ينتصر فى معركته ، ويضمن فناء الأرض .

ازداد التوتر المطل من عينى الكائن ، وهو يقول :

- آه .. من الواضح أنك أيضًا عبقرى ، من طراز آخر .

أجابه (رمزى) فى حزم :

- بل خبير نفسى ، انتبه على التو فقط إلى ظاهرة عجيبة ، من ظواهر الكون ، تثبت وحدة خالقه (عز وجل) ، ألا وهى اشتراك كل مخلوقاته (سبحانه)

في منوال واحد .. لقد كنت أتطلع إليك طوال الوقت ، محاولاً إلقاء صورتك من ذهني ، وتحليل تصرفاتك بصورة مجردة ، ولقد أوصلني هذا إلى أنني أمام شخص وحيد ، معزول .. عانى طويلاً وكثيرًا ، حتى امتلأت نفسه بالمقت والغضب ، والكراهية لكل الأسباب ، التي أدت به إلى وحدته هذه ، فاختل عقله ، وقرر الانتقام من كل من يقترب من هذه الأسباب ، في أية نقطة يمكنه بلوغها من الكون .

استمع إليه الكائن في صمت مشوب بالحذر ، وإن نمّ ذلك التوتر في عينيه الواسعتين على أن (رمزى) ينطق صدقًا ، حتى أن (أكرم) تساءل في عصبية متوترة :

ـ ماذا تعني بكلمة الوحدة هذه ؟! ألا يتفق مع بني قومه .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ألم تدرك الأمر جيدًا يا صاح ؟!

غمغم (نور) :

ـ أنا أدركته منذ البداية .

حدق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ما الذي أدركتماه بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى الكائن :

ـ لا توجد مخلوقات حية أخرى في هذه السفينة .. إننا نقف أمام العقل الحي الوحيد بها .

تألقت عينا الكائن ، عندما نطق (نور) عبارته هذه ، في حين استدار إليه الجميع ، يحدقون فيه بدهشة بالغة ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أليس كذلك ؟!

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن ترتسم على ذلك الشق في وجهه شبح ابتسامة ، وهو يجيب :

ـ بل خطأ .. استنتاجهم خاطئ تمامًا هذه المرة .

قالها ، وفرقع سبابته وإبهامه ..

ومع الفرقعة ، صدرت تلك الزمجرة مرة أخرى ..

ثم ارتفعت جدران الحجرة في بطء ..

واتسعت عيون الجميع بدهشة عارمة ..

فما رأوه خلف تلك الجدران كان مدهشًا .. بحق .

* * *

٨ ـ أعماق الزمن ..

في حياة كل إنسان مشاهد بعينها ، لا يمكنه نسيانها قط ، وإن طال به الزمن ..

مشاهد حفرت في أعماقه آثارًا لا تنمحي ..

وانغرست في كيانه ..

حتى النخاع ..

ومن المؤكد أن ذلك المشهد ، الذي وقعت عليه عيون (نور) ورفاقه ، داخل سفينة الغزاة ، كان أحد تلك المشاهد ، التي سجلتها عيونهم ، واختزنتها عقولهم ، وستبقى فيها إلى الأبد ..

فأمام عيونهم ، كان هناك جدار كامل من الزجاج ، يحمي مجموعة من اثنتي عشرة أسطوانة شفافة ، رقد داخل كل منها مخلوق مشابه تمامًا لذلك الذي يقف أمامهم ..

بل يتطابق معه تمام التطابق ، وكأنهم جميعًا نسخ من رجل واحد ..

وكان من الواضح أنهم إما موتى ، أو غارقون في غيبوبة عميقة ..

عميقة للغاية ..

وعبر المترجم الآلي ، راح المخلوق يقول ، وهو يسير إلى جوار الجدار الزجاجي ، يتبعه حارساه الآليان :

ـ ما ترونه أمامكم آخر السلالة الحاكمة في كوكبنا ، بعد أن أفسدنا بيئته ، بنفس ما أفسدتم به بيئتكم ، حتى فقد كل صور الحياة على سطحه .. كنا نعلم منذ فترة طويلة أن النهاية آتية لا ريب ، بعد أن انكمش غلافنا الجوي ، ولم تنجح تكنولوجيتنا كلها في إنقاذه وإنقاذنا، لذا فقد صنعنا سفينة الفضاء العملاقة هذه ، بكل ما تبقى من مواردنا ، وزودناها بتلك المقاتلات الآلية ، والهياكل الزائفة ، وكل وسائل التمويه والخداع اللازمة ؛ لأن مشاهداتنا أثبتت بأن الحجم يمثل أهمية بالغة ، في كل أنحاء الكون ..

غمغم (رمزي) :

ـ وهذه هي العقدة النفسية ، التي تحكم تصرفاتك .

تجاهله المخلوق تمامًا ، وهو يتابع :

ـ وعندما حانت لحظة النهاية ، مع انهيار الغلاف الجوى ، وانهمار الأشعة الكونية على كوكبنا ، انطلقت بنا سفينة الفضاء ، المصممة بحيث تحيا لقرون من زمنكم فى الفضاء السحيق ، حاملة آخر من تبقى من سلالتنا الملكية .

قال (نور) :

ـ أراهن أنكم تركتم الباقين خلفكم ، لتحصدهم الأشعة الكونية بلا رحمة .

أجابه المخلوق :

ـ لم يكن هناك مكان يتسع للجميع ، وكان من الضرورى إنقاذ السلالة الملكية وحدها .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ موقف بالغ الأنانية والطغيان .

أشار (رمزى) إلى الأسطوانات الشفافة ، وهو يقول :

ـ ما أمامك هو صورة أكثر وضوحًا للأنانية والطغيان .. لقد استخدموا تكنولوجيا الاستنساخ ، لصنع نسلهم الملكى كله ، وكأنما يرفضون حتى أن تمنحهم الطبيعة هباتها .

قال المخلوق ، وهو يلتفت إليه :

ـ أية هبات ؟! كلنا من نسل والدنا العظيم ، الذى تحقق له الكمال كله .. القوة والذكاء ، و ...

قاطعه (أكرم) :

ـ الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده يا هذا .

رمقه المخلوق بنظرة عجيبة ، تحمل شيئًا من المقت ، قبل أن يقول :

ـ المهم أننا انطلقنا فى الفضاء ، بحثًا عن عالم جديد ، يصلح لحياتنا ، ولاستمرار نسلنا ، وكان من الممكن أن يتحقق لنا هذا ، لولا (بينا ـ تو) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ومن (بينا ـ تو) هذا ؟! أحد حمقاكم الملكيين ؟!

تابع المخلوق ، وهو يواصل سيره إلى جوار الجدار الزجاجى ، محاولاً تجاهل تعليقات (أكرم) اللاذعة :

ـ (بينا ـ تو) هو نوع من الفيروسات[*] التى

(*) الفيروسات : مجموعة جرثومات دقيقة جدًا ، لا يُرى معظمها بالمجهر الضوئى العادى ، ويمكنها فى العادة النفاذ من المراشح البكتيرية ، وللفيروسات خصائص الكائنات الحية ، ولكنها لا تحيا أو تتكاثر إلا متطفلة على نوع من الخلايا الحية

نمت فى عالمنا ، مع انهيار غلافه الجوى ، وراحت تنتشر فى شعبنا انتشار النار فى الهشيم .. ولقد تصورنا أننا ، كسلالة ملكية ، بمنأى عن الإصابة بها ، حتى كشفنا فجأة أنها قد توغلت فى أجسادنا ، وصار مصيرنا الموت حتمًا .

ثم استدار يتطلع إلى الأسطوانات الشفافة ، مستطردًا :

ـ لهذا اتخذوا قرارًا بأن يتم تجميد أجسادهم ، حتى نبلغ كوكبًا ، يمكننا فيه أن نبحث عن علاج للمرض .

قال (رمزى) فى بطء :

ـ وكان عليك أن تبقى، لتقوم بعملية التجميد هذه .

صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ قمنا بعمل اقتراع ، ووقع الاختيار علىَّ للبقاء ، والقيام بعملية التجميد .

قال (رمزى) بلهجة ساخرة ، أدهشت الجميع :

ـ وهذا يثير غضبك ومقتك إلى أقصى حد .

بدا التوتر أكثر وضوحًا ، فى عينى الكائن ، وهو يتطلع إلى الأجساد المجمدة أمامه ، قائلاً :

ـ لقد أجبرونى على القيام بالمهمة؛ لأننى أصغرهم

سنًّا .. تصوروا أنهم قادرون على قهرى ، وتركى خلفهم ، أعانى الألم والعذاب ، مع (بينا ـ تو) ، حتى أجد كوكبًا صالحًا لحياتهم .

قال (رمزى) بنفس اللهجة :

ـ ولكنك ستنتقم منهم جميعًا .. ستسحق كل صور واحتمالات الحياة ، على أى كوكب يصلح لهم ، حتى ينتهى أمرهم تمامًا .. إنك لم تغفر لهم قط ما فعلوه بك .

استدار إليه الكائن فى بطء ، وتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ كيف تفعل هذا بالضبط ؟! كيف يمكنك قراءة أعماقى على هذا النحو ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ أخبرناك أنه خبيرنا النفسى .

قال بسرعة :

ـ وأنا أخبرتكم أننا لا نجيد فهم هذه الأمور .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ من الواضح أنك لا تجيد سوى القتل والتدمير فحسب ..

أشار المخلوق بيده إلى ما حوله ، قائلاً :

ـ إنها أفضل لعبة أجيدها ، منذ زمن طويل .. كل ما ترونه حولكم عبارة عن عقل آلى عملاق ، متخصص في استراتيجيات الحرب والقتال .. وهو الذى يعد الخطة كلها ، من الألف إلى الياء ، بعد أن أزوده بكل المعلومات اللازمة ، عن العالم الذى أسعى لإفنائه .

قالت (سلوى) بصوت مبحوح :

ـ أتعنى أننا لسنا أول عالم تسعى خلفه ؟!

رسم ذلك الشق في وجهه ابتسامة مزهوة ، وهو يجيب :

ـ لقد أفنيت عالمين كاملين من قبل .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول في حدة :

ـ أيها الحقير .. أتزهو بوحشيتك هذه ؟!

صاح به (نور) :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. لا تمنحه الـ ..

صرخ (أكرم) :

ـ أمنحه ماذا يا (نور) ؟! أتظن هذا الضئيل الحقير يفكر ، ولو لحظة واحدة ، في إبقائنا على قيد الحياة ، بعد أن يسحق كوكبنا ؟!

قال الكائن في بطء :

ـ استنتاج آخر خاطئ .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفاً في حدة :

ـ هل تراهن ؟!

أجابه الكائن :

ـ إننى أنوى ترككم بالفعل على قيد الحياة ، بعد فناء كوكبكم .

ثم تألقت عيناه الواسعتان ببريق وحشى مخيف ، وهو يكمل :

ـ ففكرة إطلاقكم في الفضاء اللانهائي ، بعد أن فقدتم كل مكان يمكن أن تلجئوا إليه ، تثير في نفسى سعادة أكبر .

اتسعت عيونهم في دهشة ، وتبادل (نور) و(أكرم) نظرة متوترة ، قبل أن يقول هذا الأخير في غضب هادر ، وهو يتجه نحو الكائن :

ـ أيها الحقير الـ ...

قاطعه (نور) ، وهو يجذبه في حدة :

ـ قلت لك : اهدأ .

استدار إليه (أكرم) ، صارخاً :

- لا شأن لك بي ..
أطلق صرخته ، ثم انقض على (نور) في شراسة عجيبة ..
واشتبك الاثنان في قتال عنيف مباغت ..
عنيف للغاية ..
ومباغت تمامًا ..

* * *

كان الموقف عجيبًا بحق ..
(نور) و (أكرم) .. الزميلان .. الصديقان يتصارعان ، بمنتهى العنف والشراسة ، وسط رفاقهما ، وأمام عيني مخلوق فضائي سادي عجيب ، تألقت عيناه الواسعتان في نشوة ، وهو يراقب ذلك الصراع ، وكأنما يستمتع بكل لحظة ..
أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد أصابهما الفزع والذعر لما يحدث ، وصرخت الأولى ، وهي تتراجع في حدة :
- (نور) .. (أكرم) ! ماذا أصابكما ؟!
وصاحت (نشوى) :
- يا إلهي ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

(رمزي) وحده ظل صامتًا ، معقود الحاجبين ، يراقب المشهد باهتمام شديد ، وكأنها دراسة خاصة ، يحرص على استيعابها جيدًا ..
وفي شراسة مدهشة ، اشتبك (نور) و (أكرم) ، وراحا يتدافعان في عنف ، و ...
وفجأة ، وعندما صارا على مسافة مترين فحسب من ذلك الكائن الفضائي ، انفصلا عن بعضهما البعض ، ووثبا نحوه في آن واحد ..
وكانت مفاجأة للجميع ..
حتى الآليين ..
ففي جزء من الثانية ، كان (أكرم) يحمل ذلك الكائن بذراعه اليسرى ، ويحيط عنقه بساعده الأيمن ، هاتفًا في سخرية :
- يبدو أن العقول الآدمية ما زالت تتفوق أيها الوغد.
تحرك الآليان في سرعة ، وارتفعت فوهتا مدفعيهما الليزريين في تحفز ، فجذب (نور) الكائن أمامهما ، وهو يقول في صرامة :
- هيا .. أخبرهما أنه من المستحيل أن يقتلا سيدهما .

هتفت (سلوى) مبهورة :

ـ يا إلهى ! إذن فهى خدعة .

أجابها (رمزى) مبتسمًا :

ـ بالتأكيد يا (سلوى) .. ماذا تصورت ؟!

ألقت (نشوى) رأسها على صدره ، هاتفة بصوت أشبه باللهاث :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما الكائن ، فقال فى غضب :

ـ هل تتصورون أن هذا يمكن أن يكفل لكم النصر ؟!

أجابه (نور) :

ـ كنا واثقين من أن حارسيك الآليين لن يجرؤا على إطلاق أشعة مدفعيهما ، ما دمنا نحتمى بجسدك .

قال فى حدة ، عبّر عنها ارتفاع صوت المترجم الآلى :

ـ إنكما تسيئان تقدير الأمور .

ضغط (أكرم) بساعده على عنقه أكثر ، وهو يقول :

ـ بل من الواضح أنك أنت تسىء تقدير قدراتنا .

قال الكائن :

ـ ما تفعلانه لن ينقذكما .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ دعنا نجازف .

هزّ رأسه فى حدة ، هاتفًا :

ـ لن يمكنكم هذا .

ثم عادت عيناه تتألقان ، وهو يضيف :

ـ هل تعلمون ما أفضل شىء فى التعامل مع الآلات ؟! أنها لا تحمل فى أعماقها أية مشاعر .. على عكسكم تمامًا أيها البشر ، الذين تسيطر عليهم عواطفهم دائمًا .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين تابع الكائن :

ـ ربما كنتما تحتميان بجسدى ، ولكن رفاقكما ليسوا كذلك .

وأدار عينيه إلى الحارسين الآليين ، مستطردًا :

ـ اقتلوا الباقين .

ولم يكد قوله يكتمل ، حتى استدارت فوهتا المدفعين الليزريين ، نحو (رمزى) و(سلوى) و (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) ..

وتراجع (رمزى) فى عنف ، و ..

ووثب (نور) ..

وثب كنمر ثائر ، يدافع عن حياته ، وكيانه .. وأسرته ..

وبكل قوتـه واندفاعـه ، اصطـدم بـأحد الآليـين ، ودفعه أمامه فـى عنـف ، ليرتطم بـالآلى الآخـر ، ويسقط الجميع أرضًا ..

وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانبًا ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآليين بدوره ، صائحًا :

ـ قاتل يا (نور) .. يمكننا أن ننتصر يا فتى .

استدار إليه أحد الآليين ، وأطلق حزمة ليزر من مدفعه ، تفاداها (أكرم) بانحناءة سريعة ، فواصلت طريقها ، لتنسف الجدار الزجاجي السـميك ، الـذى يحمى الأسطوانات الشـفافة ، وتفجر شظاياه فى كل مكان .

أما الآلى الثانى ، فقد لطم (نور) بيده لطمة قوية ،



وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانبًا ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآليين بدوره ..

ألقت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، ليسقط على قيد متر واحد من الأسطوانات الشفافة ، فصوّب إليه الآلى مدفعه الليزرى ..

وأطلقه ..

ووثب (نور) مرة أخرى ..

وثب محاولاً تفادى الطلقة ..

ولكنه شعر بخيط من النار يخترق ذراعه اليسرى ، ورأى الدماء تتدفق منها فى عنف ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) نحو الآلى الآخر ودفعه أمامه فى قوة ، صائحًا :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

وبمنتهى العنف ، ارتطم الآلى بزميله ، وسقط الاثنان أرضًا ..

ثم نهضا بسرعة مدهشة ..

وانطلقت أشعة مدفعيهما مرة أخرى .

وفى هذه المرة ، شعر (أكرم) بفخذه يتمزق ، ورأى جسد (نور) يندفع إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضًا ، و (رمزى) ينقض على أحد الآليين ، فى حين تعدو (سلوى) و(نشوى) مبتعدتين فى رعب ..

وأمام عينيه ، وقبل أن ينهض (نور) ، رأى (أكرم) الآلى يحمل (رمزى) فى خفة ، ثم يلقى به نحوهما فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسد (رمزى) بالأرض ، بمنتهى القوة والعنف ، اعتدل الآليان ، واتجهت فوهتا مدفعيهما الليزريين نحو الرجال الثلاثة ، و ..

وأصبح من الواضح أن الفريق يستعد لتلقى هزيمة فادحة ..

أعنف هزيمة فى تاريخه ..

وأفدحها ..

* * *

شبك القائد الأعلى أصابع كفيه أمام وجهه ، فى توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الكبيرة ، التى تنقل المشهد كاملاً ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الدكتور (جلال) يقول :

ـ اطمئن أيها القائد .. كل شىء يسير على ما يرام .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ لا يمكنك الوثوق ، قبل أن ينحسم الأمر تمامًا .

تنهد الدكتور (جلال) ، وغمغم :

ـ لقد تم التنسيق بين كل الجبهات ، وسنقاتل كلنا كيد واحدة .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ وربما لأول مرة في التاريخ .

قال الدكتور (جلال) في خفوت :

ـ هذا صحيح .

غلفهما الصمت بضع لحظات ، وهما يراقبان ما يدور على الشاشة ، قبل أن يزدرد الدكتور (جلال) لعابه في صعوبة ، متسائلاً :

ـ هل تعتقد أننا سنراهم مرة أخرى ؟!

سأله القائد الأعلى في اهتمام :

ـ مَنْ ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ (نور) ورفاقه .

تراجع القائد الأعلى ، حتى ألصق ظهره بمقعده ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً في أسى :

ـ سجلاتهم تؤكد أنهم قد تجاوزوا مواقف شديدة الصعوبة من قبل .

صمت القائد الأعلى قليلاً ، ثم قال في مرارة :

ـ ليس في كل مرة تسلم الجرة .

عاد الدكتور (جلال) يهز رأسه ، متمتمًا :

ـ يا للخسارة !

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يميل مرة أخرى إلى الأمام ، ويتطلع إليه في دهشة متسائلاً ، قبل أن يقول في حذر :

ـ ظننتك لا تميل إليهم .

أجابه في مرارة :

ـ لم أكن أفهمهم جيدًا .

ثم نهض من مقعده ، وتحرك مبتعدًا ، وكأنما يحاول إخفاء مشاعره وانفعالاته ، وهو يتابع :

ـ الدكتور (ناظم) ، الذي تسببوا في إقالته(*) ، كان صديقًا عزيزًا ، حتى أنني شعرت بالكراهية تجاههم ، من جراء ما فعلوه به .

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

قال القائد الأعلى :

ـ الدكتور (ناظم) ارتكب ما استحق عليه ما حدث .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ لم يمكنني استيعاب هذا وقتها .

سأله القائد الأعلى :

ـ وما الذي جعلك تستوعبه الآن ؟

أجابه في سرعة :

ـ الغزاة .

ثم صمت لحظة ، شرد خلالها بصره ، قبل أن يتابع في مرارة :

ـ أنا مثل الجميع ، امتلأ قلبي بالرعب والفزع ، مع مقدم الغزاة ، واستعاد عقلي كل العذاب والجحيم ، اللذين عانيناهما من الغزو السابق(*) ، وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من أن مذكرات وروايات شبيه (نور) المعكوس كانت تضاعف من الرعب والذعر ، إلا أن الفريق كله لم يتردد لحظة واحدة ، في القيام بمهمة انتحارية ، قد لا يعود منها أبدًا ، في سبيل إنقاذ الأرض.. في سبيل درء الخطر عني وعنك وعن الجميع.

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

والتقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره عن آخره ، ثم أضاف في حسم :

ـ كانوا أبطالاً ، لم ألتق بمثلهم من قبل قط .

ارتسمت ابتسامة متألقة على شفتي القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ إنهم كذلك دائمًا .

تمتم الدكتور (جلال) :

ـ بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نقلت الشاشة دويًا مكتومًا ، مع صوت أحد العلماء ، وهو يقول في انفعال :

ـ اختراق طريق النجوم سيتمّ خلال عشرين ثانية..

انحبست أنفاس القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، وهما يتطلعان إلى الشاشة الكبيرة ، في حين تردد العد التنازلي بسرعة بدت لهما مخيفة ..

تسع عشرة ثانية ..

ثمان عشرة ..

سبع عشرة ..

وراح قلباهما يخفقان في عنف، مع اقتراب لحظة الصفر ..

سبع ..

ست ..

خمس ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنان ..

ثانية واحدة ..

ثم دوت فرقعة أكثر عنفًا، أعقبها صوت كهزيم الرعد، ارتجت له حجرة القائد العام كلها في عنف ..

عنف يعلن أن ساعة الحسم قد حانت ..

وأن القدر سيصدر حكمه أخيرًا ..

فإما الأرض ..

أو الغزاة ..

* * *

من المؤكد أن نتائج المواجهة المباشرة، بين البشر والآلات المقاتلة، لا يمكن أن تحسم أبدًا لصالح البشر ..

في الظروف العادية ..

فالآلات المقاتلة، كما يؤكد ذلك المخلوق الفضائي، تتحرك بسرعة أكبر، دون أية مشاعر أو انفعالات، لتحقيق هدف واحد ..

القتل ..

قتل الخصم ..

أيًا كان ..

وأيًا كانت الظروف والملابسات ..

ربما كان هناك أمل للبشر، في القتال طويل المدى ..

حيث توجد مساحة للتروي والتفكير ..

والمراوغة ..

والمناورة ..

والخداع ..

وحتى في هذه الحالة، ستكون احتمالات النصر ضئيلة ..

أما في المواجهات المباشرة، فالاحتمالات تقترب من الصفر ..

وربما أقل ..

هذا بالضبط ما دار في رأس (نور) ، في جزء من الثانية ، عندما شاهد الفوهتين القاتلتين تتطلعان نحوه ونحو رفيقيه مباشرة ..

وتوقّع أن تنطلق حزم الليزر منهما على الفور ..

دون إبطاء ..

أو رحمة ..

ورآها بعين الخيال تسحق ثلاثتهم ، و ..

ولكن الآليين انتفضا فجأة ..

وتألقت عيونهم الآلية بشدة ..

ثم تجمّدا في مكانيهما ، كما لو أنهما قد تحوّلا إلى تمثالين من الصلب .

وبكل دهشته ، هتف (أكرم) ، وهو يمسك جرح فخذه في ألم :

ـ رباه ! ماذا أصابهما ؟!

أتاه صوت (سلوى) من خلفه ، يقول في عصبية :

ـ لقد أفسدت عملهما .

التفت الجميع إليها في دهشة ، وهتف (نور) :

ـ أفسدت عملهما ؟! ولكن كيف ؟

أجابته بصوت يحمل مرارة عجيبة :

ـ أطلقت ذبذبة خاصة، شلّت أجهزتهما ، وعطّلتهما عن العمل .

سألها (رمزي) في حيرة متوترة :

ـ ومن أين حصلت على تلك الذبذبة الخاصة ؟!

أشارت إلى الكمبيوتر المسئول عن إعاشة تلك المخلوقات المتجمّدة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وشفتاها ترتجفان في شدة ، فاتسعت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـ رباه ! لقد فصلت عنهم الجهاز لإنقاذنا !

قالت (نشوى) في عصبية :

ـ لم يكن أمامنا حل آخر .

ثم انفجرت باكية بغتة ، مضيفة في انهيار :

ـ كنا أمام خيار واحد لا غير .

وألقت نفسها بين ذراعي زوجها ، وراحت تبكي في مرارة ، في حين ارتجفت الكلمات على شفتي (سلوى) ، وهي تقول :

ـ إما نحن أو هم .. لم يكن لدي خيار .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهي ترفعهما إلى (نور) ، مكرّرة بصوت أكثر ارتجافًا :

- لم يكن لدى خيار يا (نور) .

ثم دفنت وجهها بين كفيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فاحتواها (نور) بين ذراعيه ، وهو يغمغم فى حنان مشفق :

- نعم يا عزيزتى .. لم يكن لدينا خيار .. ومن يدرى ؟! ربما كان هذا هو الجزاء العادل الذى يستحقونه ، من الله (سبحانه وتعالى) ، جزاء ما اقترفته أيديهم فى حق شعوبهم ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (رمزى) ، وهو يهتف فجأة :

- رباه ! أين ذلك المخلوق ؟!

تلفت الجميع حولهم فى دهشة مذعورة ، وهتف (أكرم) فى غضب :

- ذلك الوغد !

لم يكد يتم قوله ، حتى نقل جهاز الترجمة الآلى ضحكة مجلجلة ، أعقبها صوت يقول :

- أنا هنا ، فى مكان ما داخل سفينتى ، لن يمكنكم التوصل إليه قط .. لا تتصوروا أن سخافاتكم هذه تعنى أنكم قد انتصرتم علىّ .. محال .. محال .. محال ..

ما من بشرى يمكن أن يهزمنى قط .. أشقائى لقوا جزاءهم بالفعل .. وهم يستحقونه .. أما أنا ، فسأحيا حتى آخر قطرة دم ، يلتهمها ذلك الفيروس الحقير ..

صاح (أكرم) :

- أتمنى أن تتعذب فى كل لحظة أيها الوغد .

أجابه المخلوق ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- على الأقل سأبقى بعد أن تذهب أنت .. إننى داخل سفينتى ووطنى ، أما أنتم ، فعلى بعد سنوات ضوئية من عالمكم ، دون وسيلة واحدة للعودة إليه .

هتف (نور) :

- من يدرى ؟!

أجابه فى سرعة :

- أنا .. أنا أدرى .

ثم اكتسب الصوت الآلى رنة عجيبة ، وهو يضيف :

- واعلم أنها نهايتكم .

مع آخر حروف كلماته ، بلغ مسامعهم وقع أقدام معدنية ثقيلة تقترب ، من القاعة التى يقفون فيها ..

ودوت انفجارات مختلفة ، انفجر بعدها باب القاعة تمامًا ..

وبرز عنده عشرة من المقاتلين الآليين ، بمدافعهم الليزرية القوية ..

وارتفعت ضحكات ذلك المخلوق ، وهو يهتف في ظفر ، عبر جهاز الترجمة الآلي :

ـ لقد خسرتم أيها الأرضيون .. خسرتم .

وارتفعت ضحكاته الظافرة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *



٩ ـ الختـــام ..

فجأة ، ارتجت سفينة الغزاة في عنف ..

وعبر ممر الهبوط الطويل فيها ، تردد صوت أشبه بفرقعة مكتومة ..

واتسعت عيون الجميع في دهشة ، و (سلوى) تهتف في انفعال ، انتفض معه جسدها كله :

ـ رباه ! هناك قوة هائلة ، اخترقت طريق النجوم على التو .. مع هتافها ، وكأنما تلقوا جميعا أمرا عاجلا ، تراجع المقاتلون الآليون ، واتجهوا نحو ممر الهبوط في سرعة ، على نحو يوحي بأن برنامجهم يضع الدفاع عن السفينة ، على رأس قائمة الأولويات ..

مهما كانت الظروف ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو خلفهم :

ـ رباه ! يبدو أن ما كنت أتوقعه قد حدث يا رفاق .

تبعه الجميع إلى قاعة أخرى ، تتصل بممر الهبوط ،

ولها جدار زجاجي ضخم ، يطل على الفضاء السحيق ، و (أكرم) يتساءل في انفعال :

ـ وما الذي كنت تتوقع حدوثه يا (نور) ؟!

بدا الارتياح في وجه (نور) وصوته ، وهو يتطلع عبر الجدار الزجاجي ، مجيباً :

ـ أن تصل إلينا وسيلة العودة إلى الأرض .

ومع جوابه ، اتسعت عيون الجميع ، في دهشة وانبهار ، وانطلقت من حلوقهم ، على الرغم منهم ، شهقة قوية عنيفة ..

فأمام عيونهم ، وعبر الجدار الزجاجي السميك ، كانت هناك أسراب هائلة من المقاتلات الأرضية ، تنقض على سفينة الغزاة ..

أكثر من مائتي ألف مقاتلة أرضية فضائية ، تحمل خليطاً من أعلام معظم دول كوكبنا ، تشتبك مع مقاتلات الغزاة ..

الحقيقية ..

كل أسطول الأرض الفضائي يضرب ضربته ..

ويواجه المقاتلات الآلية ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الحزم ..

وعبر جهاز الاتصال الداخلي في سفينة الغزاة ، ارتفع صوت أرضي حازم صارم ، يقول :

ـ هذه الرسالة يتم بثها على كل الموجات الطويلة والمتوسطة والقصيرة ، وعبر شبكات (الميكروويف) ، والليزر ، وموجات ألفا وبيتا .. هنا الأسطول الفضائي لكوكب الأرض .. نطالبكم بالاستسلام فوراً ، دون قيد أو شرط ، وإلا سحقناكم سحقاً .. أكرر .. استسلام دون قيد أو شرط .

كانت مقاتلات الغزاة تتساقط بسرعة ، و (سلوى) تهتف في سعادة :

ـ رباه ! كيف فعلوها ؟! كيف جاءوا إلى هنا ؟!

أجابها (نور) في حزم :

ـ لقد فهموا الرسالة أخيراً .

سأله (أكرم) مبهوراً :

ـ الرسالة التي حملتها الكرة إليهم ؟!

هز (نور) رأسه نفياً ، وأجاب :

ـ بل الرسالة الأكثر أهمية يا صديقي .

وانعقد حاجباه ، وصوته يكتسب رنة صارمة حازمة ، مستطرداً :

- إن الاتحاد قوة .

نطقها وهو يراقب ذلك الاشتباك العنيف ، بين المقاتلات الفضائية الأرضية ومقاتلات الغزاة ..

الاشتباك الذى أوحى بأن الغمّة قد انزاحت بالفعل .. وإلى الأبد ..

* * *

« العجيب أننا لم نعثر على أدنى أثر لذلك المخلوق ، الذى التقيتم به يا (نور) !! » ..

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى حيرة ، وهو يتحدث إلى (نور) ، الذى أحاط ذراعه المصابة بالضمادات ، متسائلا :

- هل قمتم بتفتيش السفينة جيدًا يا سيدى ؟!

أجابه القائد الأعلى :

- كل شبر منها يا (نور) ، بعد أن استولت عليها قواتنا المشتركة ، وسيطرت على الموقف تمامًا .. لقد اختفى ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر .

وأشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- ربما آثر الانتحار ، أو أفنى نفسه بوسيلة ما .

غمغم (نور) :

- أو انتقل إلى بُعد آخر .

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- كل شىء جائز أيها المقدّم .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يربّت على كتف (نور) ، قائلاً فى ارتياح واضح :

- وصدقنى .. إننى أسعد أهل الأرض بعودتكم إلينا .. حمدًا لله على سلامتكم أجمعين .

تنهّد (نور) ، مغمغمًا :

- أشكرك يا سيّدى .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن ماذا عن طريق النجوم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- الدول كلها وافقت على إغلاقه إلى الأبد .. قد يعنى هذا أننا لن نفيد منه ، ولكنه أيضًا لن يحمل إلينا خطرًا جديدًا ، من أطراف الكون مرة أخرى .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

- لقد كُتِبَتْ لنا النجاة هذه المرة ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ماذا يمكن أن يحدث فى المرة القادمة !

وظلت تلك العبارة تتردد فى رأس (نور) طويلاً ..
من يدرى ، ماذا يمكن أن يحدث فى المرة القادمة ؟!
من يدرى ؟!
« أين ذهبت ؟! » ..
تسلل صوت (سلوى) إلى أذنيه فى حنان ، وهو يجلس شاردًا فى شرفة منزله ، المطلة على الحديقة ، فالتفت إليها ، متسائلاً :
ـ كيف حال (أكرم) الآن ؟!
جلست على المقعد المجاور له ، مجيبة :
ـ سيتعافى قريبًا بإذن الله .
وملأت عينيها بمشهد الحديقة والشمس الساطعة ، قبل أن تضيف :
ـ هل تعلم ؟! ذات لحظة تصورت أننا لن نرى هذا المشهد ثانية قط !
غمغم شاردًا :
ـ الله (سبحانه وتعالى) لم يكتب لنا الموت بعد .
هزت كتفيها ، قائلة بابتسامة هادئة :
ـ فى المرة القادمة ، أعتقد أننى ..
قاطعها فى حزم :

ـ لن تكون هناك مرات قادمة بالنسبة لك ، قبل فترة طويلة .. الطبيب يقول : إن حملك يحتاج إلى الراحة وتفادى الانفعالات ، فى الفترة المتبقية .
غمغمت معترضة :
ـ ما زال أمامى الكثير .
بدا شاردًا مرة أخرى ، وهو يقول :
ـ إنها أوامر الطبيب .
تطلعت إليه بضع لحظات فى إشفاق ، ثم لم تلبث أن مالت نحوه ، متسائلة :
ـ فيم تفكر يا (نور) ؟!
انطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ، حملت ما يعانيه ، قبل أن يرفع عينيه إلى السماء ، مجيبًا :
ـ أفكر فى أننا قد نجحنا فى إنقاذ عالمنا ، بفضل شبيهى المعكوس ، الذى فشل فى هذا تمامًا .
ربتت على كتفه ، قائلة فى تعاطف :
ـ إنه قدره وقدرنا .
وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :
ـ من يدرى ؟ ربما وجد خبراؤنا يومًا وسيلة للانتقال إلى الزمن الماضى فى عالمه .. وربما كانت لدينا عندئذ الفرصة لإنقاذهم ، بعد كل ما علمناه ..

وهزّ رأسه في قوة ، قبل أن يعاود التطلُّع إلى السماء ، مكررًا :

ـ ربما .

شعرت بقلبها يخفق من أجله ، فتسلَّلت يدها تحتضن يده في حنان ، ورفعت عيناها مثله إلى السماء ، وهي تهتف في أعماقها ..

نعم .. من يدري ؟!

ربما .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة – ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ – ٢٨٣٥٥٥٤

الزمن الآخر

- كيف يمكن أن تواجه الأرض احتمالات غزو فضائى جديد ؟!
- ما ذلك السر الغامض الرهيب ، الذى يخفيه غزاة الفضاء الأليون ؟!
- تُرى من ينتصر فى هذه المعركة الفاصلة .. (نور) وفريقه ، أم غزاة (الزمن الآخر) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : وراء العقل



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

128

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

